الأستاذ محسن عبدو ترحيني

مقاومة وانتصار

طريق انتصار الوطن العظيم

دار الولاء
لصناعة النشر

مكتبة
مؤمن قريش

مقاومة وانتصار

«طريق الانتصار الوطني العظيم»

دار الولاء
لصناعة النشر

بيروت - لبنان، برج البراجنة، الرويس، شارع الرويس
Mob: 00961 3 689 496 | TeleFax: 00961 1 545 133 | P.O. Box: 307/25
info@daralwalaa.com | daralwalaa@yahoo.com | www.daralwalaa.com

ISBN 978-614-420-168-8

اسم الكتاب: مقاومة وانتصار.

«طريق الانتصار الوطني العظيم»

المؤلف: محسن عبدو ترحيني.

الناشر: دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع.

الطبعة: الأولى، بيروت، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

© جميع الحقوق محفوظة للناشر

محسن عبدو ترحيني

مقاومة وانتصار

«طريق الانتصار الوطني العظيم»

دار الولاء
لصناعة النشر

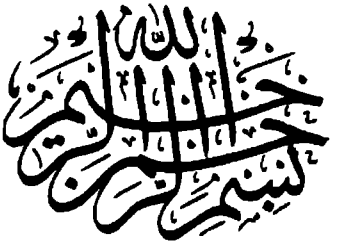
بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

عندما يتدفق الإحساس العام وتلتهب المشاعر الوجدانية أمام تلك الحالات المشتعلة في حنايا الأمة وتُترجَم في ربوع عاملة مقاومة تعطي ولا تأخذ وتسدد ولا تبدّد وتُفجّر الطاقات المغيّبة في ضمير الأمة ومن خارج الأطر الدستورية والقانونية القائمة وتفتح في مغاليق الأمة حالة مشرقة في تاريخها الحديث.

عندما فكرتُ في كتابة هذا الكتاب عن المقاومة العظيمة قرأت في عيون ولدي الشهيد الدكتور حسام محسن ترحيني ترجمة واقعية لتلك المقاومة التي أعطت الوطن الانتصار وحركت مكامن الأمة لفجرٍ جديد فقد عاشها ولدي في نبضات قلبه وفي مداركه العقلية وفي عنفوانه الذي يأبى الذل.

- عندما كنّا في الركب الحسيني العاشورائي في أمسية اليوم العاشر ومن الشعائر ان يقوم أبناء البلدة بمسيرة عاشورائية تمثل الركب الحسيني في توجهه إلى كربلاء وقد كان ولدي الدكتور حسام قد أنجز السنة الأولى من تعلمه في الطب وقد عاد إلى البلدة في فرصة صيفية من غربته في الاتحاد الروسي ولشدة إعجابي وجدت ولدي يسير في الركب حافياً فقلت له ماذا تفعل قال تلك هي مسيرة الركب الحسيني أن نكون حفاةً لنشاطرهم في الركب.

- عندما نجح في شهادة الرياضيات الثانوية سألت عنه فقالوا لي أن ولدك حسام قد ذهب إلى جبل صافي للجهاد فتعجبت من ذلك فقلت في نفسي لا بدّ أن ولدي قد شعر بضيق ذات اليد فآثر الجهاد على العلم فذهبت إليه في السيارة فوجدته في بلدة جرجوع وقد تهيأ للذهاب إلا انّ دمعة والده قد أعادته معه

- علم حسام بانّ رفاقه في جبل صافي بحاجة إلى بعض التموين والسلاح فقال إلي احد أصحابه هل تذهب معي لكي نوصل هذا التموين والسلاح فوافق صاحبه معه بعد أن استأجر سيارة نقلته مع صاحبه وما معه من تموين وذخيرة ونزل عند بداية الجبل فإذا الطائرة الاسرائيلية قد قصفت في سفح الجبل فانحنى مع صاحبه في حقل القمح وانتشرت الحجارة والغبار في المكان وبعدها قام حسام وقال لصاحبه «لن ينعم اللّه علينا بالشهادة» فقال له صاحبه يا حسام أنا لم اعد أستطيع السير معك وإنني راجع وفعلاً قد رجع صاحبه إلاّ أنّ حسام لم يتراجع بل واصل السير صعوداً في الجبل يحمل التموين والذخيرة معاً بقلبٍ ملؤه الايمان وإرادةٍ لا تعرف المستحيل حتى عانق رفاقه وأنجز المهمة.

- من هذه المعالم التي تعلمتها من ولدي أكتب هذا الكتاب.
المؤلف ١٥ أيلول ٢٠١١

«المقاومة سر الزهر وعطر الورد وتواضع السلوك
وحكايات التضحية التي لا تنتهي في بلادي»

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

عندما يكون الضمير صاحياً والعواطف الانسانية سليمة والفكر مشبعاً بالوجدانيات الصافية والعقل يمارس دوره الريادي في الغذاء الروحي لتلك المكونات البشرية فتولد المقاومة فيه ومعه بصورة عفوية وإقدام منقطع النظير في امتلاك القدرة والإرادة على السير قدماً في هذا الاتجاه الصحيح.

من المفروض أن تكون كل شخصية بشرية مؤهلة لإمتلاك تلك الحالة الوجدانية إلاّ أن الزمن الرديء والمفاهيم الخاطئة والأساليب التي تذري خصوصاً في ساحتنا الوطنية قد تفعل فعلها وتعكس نبل المشاعر والأحاسيس وتفقد بالتالي جوهرها الفعلي.

فلا عجب أن رأيت أشباه الرجال وعقول ربات الحجال قد تنعكس معهم تلك الحالة الوطنية وتنعدم لديهم الجراة في مواجهة الأحداث بل

تراهم يعمون آذانهم عن سماع تلك المفاهيم الفطرية وهي المكونات الأساسية للشخصية الانسانية.

إلاّ أن الكثير من المدونات والمؤلفات تعطي لتلك الحالة واقعاً ملموساً وتحرك في نفوس البعض مواقف الذل والهوان باعتبارها إحدى أوجه السلامة والحرص والاعتدال.

ومع ذلك فإن المواقف الوطنية الصحيحة لها أربابها وتتجذر في المجتمع بدون شك لأنها هي الوحيدة التي تعطيه معنى الحياة الحرة الكريمة.

فالمقاومة قيمة معنوية ومادية بحد ذاتها وليست عاملاً متحداً أو مرتبطاً بحالات اخرى، فالأوطان بدون مجاهدين أرض لا تنبت إلاّ الشوك والبلاّن والقندول وفطريات القاذورات على مزابل التاريخ.

إن المقاومة تندرج منها وعليها جميع المعطيات الروحية والاجتماعية في الحياة لكي تتخذ مسارها الفعلي في حياة الانسان وتعطيه المدد والعون والسؤدد في جميع مجالاته الحياتية.

وهي ينبوع القوى الحية التي تعزز مناحي الحياة في المجتمع بكل عوامل القوة والمنعة والتطور الفعلي والحقيقي الذي يضع اللبنات الأساسية لمداميك الحضارة، فمن تلك الحالة المتقدمة في النفوس والعقول في المجتمعات تتولد وتتوالد الأساسيات والمداميك الحقيقية في جسم الأمة بكل أبعادها.

من هنا نفهم بان المقاومة ليست حالة عابرة في المجتمعات الحية

بل هي تفاعل الذات الفردية والذات الجماعية في سياق واحد تذوب فيه كل الفوارق الاجتماعية وتتعداها إلى الوحدة الحضارية في البنية الاجتماعية عامة، بذلك يأخذ المجتمع السمات الأساسية في بنائه الاجتماعي والسياسي والاقتصادي في آن واحد وتتكون في داخله حالات التفوق على الذات الدونية والخساسة الاجتماعية ليرتفع نحو القيم والمبادئ العليا.

فالرسالات السماوية هي إحدى مكونات حالة المقاومة وبالتالي تتشكل امتداداً لمندرجاتها الروحية الصافية فإذا كانت الرسالات السماوية وبالخصوص الرسالة الاسلامية الخاتمة قد نقلت المجتمع الجاهلي من العبادة الوثنية الصنمية ومن الحياة الفردية الغارقة في متاهات اللذات وانحطاط الكرامات والحياة

العامة التي تسودها شريعة الغاب ويتغلب فيها القوي على الضعيف في الرق والاستعباد، قد تم نقل المجتمع إلى عبادة اللّه الواحد الأحد وتحقق مبدأ الأخوة في الدين وانعكس ذلك كله على مجمل الحياة العامة في المودة والمحبة والمساواة.

إن هذه النقلة النوعية تبعث في النفوس كوامن القوة والعزة وفتحت الطريق المستقيم في حياة الأفراد والجماعات وهذا ما جاء في القرآن الكريم: بسم اللّه الرحمن الرحيم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1].

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٠

تلك هي السريرة التي أيقظها الاسلام في وجدانيات المجاهدين وتدفعهم إلى الجهاد والتضحية والإباء بالاستقامة والعِبَر على تكاليفها سلوكاً ونهجاً في الحياة.

من هنا تتجسد حالة المقاومة مع الذات البشرية لكي تأخذ الحياة مداها الصحيح وتقترن بالعبودية الكاملة إلى اللّه سبحانه وتعالى وترتفع النفس إلى الحالات الوجدانية والانسانية حتى تتكون من خالهما المدى الحيوي للمجاهدين في سبيل اللّه، فتنشرح صدورهم للتقوى والمغفرة وتعطيهم البشارة إلى الجنة التي وعد اللّه بها عباده الصالحين.

إن هذه الحالات تتجدد بإستمرار في عمر الأوطان وميادين الأمم غربها ومشرقها مع كل فترة زمنية يتجاهل فيها الانسان عظمة اللّه وأسرار خلفائه على الأرض، وتنشأ معها حالة المقاومة بكل أبعادها لتصحح المعادلة الأرضية وتستقيم الأمور لخالقها وتجري في عروق الأمم التي داستها اقدام الغزاة الدماء الحارة الزكية من أرواح الشهداء الأبرار.

من هنا تبدأ خطوة الألف ميل في صراع الأجيال وتعاقب الدول والأحوال وتزهق أرواح وتندك حصون وأبراج حتى ترتفع الصلات «حي على الفلاح» وتهدأ النفوس الأبية وتعود عملية الحياة لتأخذ دورها في الزرع والنماء وتفيض بركة الرحمن على العباد.

إنها المعادلة الصعبة في المكونات البشرية ما بين أطماع وأحفاد تتفجر لتحقيق مآرب وأهواء تتوالد في المجتمعات المنحرفة يقودها

الشجع والاستغلال والاستبداد يعود الركب المقاوم ليصحح المسارات الكونية ويحقق التوازن والعدالة التي هي السماة الأساسية في المخزون البشري.

وعلى سبيل المثال فالجسم السليم إذا اصابه جرح ما تندفع الكريات البيض والحمر معاً من جميع أنحاء الجسم لتواجه الخطر الداهم لتحقق الوقاية وتدفع بالجراثيم الواقفة إلى خارجه وإذا انعكست الحالة استطاعت تلك الجراثيم الوافدة أن تدخل إلى عمق الجرح فالالتهاب لا بد أن يقع وأن الجسم لا بد أن يهزل حتى يستطيع أن عاجلاً أم آجلاً إلى كبح جماح تلك الجراثيم الوافدة حتى يتحقق العافية وتسترد رونقها وجمالها، وهذه العملية العادية تجري عند كل حدث أو أمام أية مواجهة يتحتم فيها الصراع بين وافد مضر ودفاع نافع حتى يعطي الحيوية لمفاصل الجسد أن تأخذ دورها الفعلي في حياة الانسان.

تلك العملية الجرثومية في جراح الجسد هي الأمثولة في جراحات جسد الأمة المثخن بالجراحات، فإن لم تجد تلك الجراحات وحدات حية للتصدي لتكشف أبعادها ومراميها وتضع الأصبع على مواطن الداء وتحذر من خطره وفتكه في الجسد ككل بانه لا شك سيتعاظم ويتآلب وتنشب فطرياته العفنة

في كل خلية من خلايا الأمة الحية تماماً كما يفعل المرض السرطاني في الجسد البشري فينتشر ويتوسع في الخفاء ثم يظهر في اي عضو من أعضائه الهزيلة.

ان ينبوع الحالة المقاومة يجب ان يستمر في تدفقه الصافي وأن مفاعيله ومعطياته يجب أن تتوفر لها الحماية والصيانة عند النبع في جسم المجتمع حتى يستطيع أن يأخذ مداه الفعلي والحقيقي في شرايين الأمة.

ان المجتمعات الحية تكرّس مثل هذا الاتجاه النوراني بوعي حقيقي له وترفعه إلى سلّم الأولويات في انماط حياتها الخاصة والعامة، وأن الأوطان العربية وبالخصوص القطر اللبناني هم المعنيون بتلك الحالة الجهادية أمام عدو قد تثبت عدوانيته وأفعاله الوحشية وجرائمه المتعددة الأوجه والأساليب على الصعيدين الخاص والعام.

إن هذا المسلك الحقيقي هو المرتكز الأساسي في وجود الأوطان وسر بقائها وجودتها سواء كان ذلك في مخزونها البشري أم في طاقاتها الابداعية أم في اتجاهاتها العالمية، لأن من تنحجب عنه هذه الرؤيا الصافية كالنعامة التي تدس برأسها في التراب وبالتالي يبقى أسير الاهواء والرغبات الرعناء في الداخل وساحة يتكالب إليها الأعداء من كل حدب وصوب وبالتالي يضع مجتمعه ما بين المطرقة والسندان فلا الداخل يسعفه لأنه لم يضع لنفسه مداميك الحماية والردع الوطني العام وأن حمايته في ضعفه حسب تصور البعض وان العدو سيرسل اليه فرقة موسيقية عندما يحتدم الصراع، بذلك يصبح العدو الخارجي معه حرية التصرف والفعل وتشرع أبواب الوطن أمامه للعمل مع عملائه في شتى المجالات الشنيعة والهدامة.

هل نحن نعي تلك الحالة الشاذة في حياة الأمة أم أن حراس

الأوطان هم من نفس الطينة للعدو المتربص في الباحة الخلفية لقصورهم الخاوية.

هذه الحالة الواضحة الدلالة تغني اللبيب عن المساءلة وتحتم علينا أن نمسك أقدارنا بأيدينا وأن لا نخاف ولا نحزن مع اللّه لومة لائم.

ان المخزون لدى الشعوب يؤكد بان الحالة الايمانية ما زالت تتفاعل في الصدور وأن وجدانيات كل شعب من شعوب المنطقة العربية يحمل في وجدانياته كل عوامل المقاومة ولن يصبر على الوهن والظلم والاستغلال طالما هناك قلوبٍ تعتمر بالايمان والحماس وعلى قاعدة الإمام الحسين عليه السلام «هيهات منّا الذلة».

اننا بحاجة ماسة إلى إعادة قراءة تاريخنا وحضارتنا بالبصيرة الثاقبة ولن تحجب التراكمات المزيفة والانحرافات الخطيرة في القيم والمثل والرسالات بل نؤكد بان عصر المقاومة هو النور الذي يضيء عتمة الديجور القاتم.

ان الأمة التي أنار الاسلام حياتها ونقلها من دياجير الوثنية والصنمية إلى الايمان باللّه الواحد الأحد وبالرسل والأنبياء ووحد بين أبنائها بالأخوة والمودة والفضيلة واستطاعت أن تحمل رسالتها إلى شتى أصقاع المعمورة، إذ بها بعد عصرين من الحكم الأموي والعباسي تفقد القدرة على مواجهة الخطر التركي الذي سيطر على زمام الأمور فتفككت الخلافة وسقط مفهوم الدولة والمجتمع وتوقفت بذور الحضارة العربية عن النمو لأنهما انغمسا في الحكم والتسلط الأرعن على مقدرات البلاد والعباد.

والذي زاد في تدهور الأوضاع هو الزحف الصليبي نحو الشرق لإحتلال المنطقة العربية والتي استمرت نحو قرنين من الزمن حتى استطاع المماليك[١] طرد الفرنج المستعمرين من الأراضي العربية.

ولكن الغزاة الأوروبيين عندما شعروا باقتراب هزيمتهم في الشرق أرادوا أن ينتقموا من العرب فاتصلوا بقادة التتار[٢] في الصين وحرضوهم على غزو المناطق العربية.

فزحف هولاكو[٣]على بغدد وأحرقها وتحرك بعده تيمورلنك[٤] وأحرق دمشق. بهذه الغزوات المتلاحقة توقف المد الحضاري العربي وسيطر المماليك على الحكم إلاّ أنهم ولعدم إدراكهم لمحتوى الرسالة الاسلامية وإنصرافهم الكلي للعمل العسكري تركوا في الشريعة الاسلامية قنوبين كانت لهما آثار خطيرة إلى اليوم.

الأولى: تحريم الثورة على الحاكم بشكل مطلق ومهما تكن الأسباب.

الثانية: الاقرار بجواز إمارة المتغلب أو الغالب سواء كان من العرب أو غير العرب.

وبعد المماليك جاء العثمانيون وحكموا المنطقة العربية اربعة

(١) المماليك: هم عبيد من الأتراك المغول استعان بهم الأمويون للخدمة العسكرية.

(٢) التتار: هنا عمل وبنين تسكن أواسط آسيا وسمي المغول بهذا الإسم.

(٣) هولاكو: حفيد جنكس خان قضى على الخلافة العباسية وقد قضى على جيشه الظاهر بيبرس من مصر.

(٤) تيمورلنك: ملك مغولي،فتح فارس وسوريا ومصر واحرق دمشق.

قرون ووجدوا في هاتين الفتوين ظالتهم المنشودة وذريعة لقمع أي تطلع «عربي إلى التحرر القومي». وبالتالي منعوا الاجتهاد الذي دفعت ثمنه الامامية باعتمادهم وتمسكهم به باعتباره الباب الذي تدخل منه الشريعة إلى حيز الوجود والتطبيق الفعلي.

هذه الحالة المرضية أوهنت الأمة وجعلت منها مسرحاً للجهل والاستبداد وانقطعت «الحضارة العربية النامية ذلك النهر الهادر عن العطاء الصافي ودخلت الأمة في متاهات وأحوال من الكابوس المرعب الذي حطم ذخائر الأمة في العلم والمعرفة والتطور».

إلاّ أن الأمة قد دخلت في نفق آخر من الوصاية الأجنبية «لا يقل خطورة عن المراحل الأولى بل تعداها إلى تقسيم البلاد إلى كيانات مصطنعة حسب اتفاقية سايكس بيكو في العام ١٩٢٢ واقطار متباعدة خاضعة لإرادة المنتدب الأجنبي واقتطعت منها اجزاء كبرى وزرع في قلبها الكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين».

إلا ان حالة المقاومة قامت من شتى الساحات الوطنية فقامت انتفاضة الشيخ عز الدين القسام ١٩٣٥ ومؤتمر وادي الحجير ١٩٢٠ واعلان الثورة العربية الكبرى من الجولان وانتفاضة الشعب السوري بقيادة السيد محسن الأمين العاملي وبذلك تولدت اليقظة لدى الشعوب العربية وانتشر التيار القومي والوطني في كل صقع من أصقاع الوطن العربي وأصبحت المطالبة بحق تقرير المصير من العلامات المضيئة في تاريخ هذه المنطقة.

ان حالات المقاومة سواء كان ذلك في المغرب العربي في تونس

والمغرب وليبيا والجزائر وسواء كان ذلك في قصائد شعرائها أم في الميادين الجهادية تقرأ صفحات ناصعة من التاريخ العربي وأن أرض الكنانة أيضاً كان على موعد مع المقاومة ضد الانكليز بنفس العنفوان والأماني الوطنية والقومية.

من خلال هذه العجالة في قراءة مفردات المقاومة يمكننا القول بان مفاعيل العقيدة الاسلامية هي مفتاح السر في النهج والممارسة وتشكل علامات مضيئة في تاريخ هذه الأوطان. إلاّ أنه من المفيد أن نؤكد بأن تلك المقاومات الوطنية كانت الروح القومية هي المطلب والهدف والغاية التي يتطلع اليها تلك الشعوب إلاّ أن العقلية التي كانت تسوس الأمور تريد شيئاً آخر فبدلاً من الوحدة عمقوا التفرقة والتجزئة وجعلوا من الوحدة العربية المنشودة «جامعة عربية» للدراسة والأبحاث وما زالت كذلك حتى تأخذ الارادة الشعبية مكانتها الصحيحة على الأرض العربية.

ونحن اليوم إذ «نطل على تلك المقاومات نأخذ العبر والدروس ونقتدي بحماسهم واندفاعهم وعزيمتهم الصلبة التي اضاعت منها الكثير الكثير «تلك الأنظمة العربية الغارقة في متاهات الكسب غير المشروع والزعامات التي تحبك الدسائس حتى الأخ ضد أخيه بتشجيع من رموز السلطة التي تخدم الشعب إلاّ أنها تخذل الشعب وتسحقه في السر والعلن وكأنها ترى في بؤسه وشقائه سعادة لها وديمومة لمصالحها ومنافعها وبقاء لسلطتها في التفرد والهيمنة والتبعية.

من خلال هذا العرض البسيط لحالات المقاومة التي قامت في نسيج المجتمعات العربية نجدها كإحدى أسرار ديمومة تلك الشعوب

ونبراساً لتطلعاتها الوطنية والقومية بل هي الحالة الوحيدة التي يتم تشكيل الوطن بها ومن خلالها لأنها تعتبره وبحق من المداميك الأساسية في عزة ومجد وسؤدد الأوطان.

اننا نقرأ المقاومة في حياتنا الوطنية والقومية كالمنارة التي يهتدي بها أبناء الشعب، كل الشعب لأنها من نسيجه وليست سلطة فوقية عليه وتستمد شرعيتها من أنها خلقت منه وله لتحقيق أمانيه وأحلامه في وطن كريم يحمي ولا يهدد يعطي ولا يبدد ويفخر بانتسابه إليه لا عاراً يتبرأ منه على شاطئ بحره براقب المغيب وعلى ضفاف أنهره يفني على صوت خرير المياه، انه البسمة على شفاه الناس وحرارة مودتهم في اللقاء والشوق إلى العودة إلى ربوعه.

تلك هي حكاية المقاومة على أرض الوطن تحاكي كل حركة أو سكنة فيه ومعه دون كلل أو ملل وتشم عطر دماء الشهداء على أرضه وتفاخر بها أمام العالم، إلاّ أن الشعلة ما زالت قائمة وفي كل زاوية من زوايا الوطن وخصوصاً في الوطن اللبناني ومقارعة أعتى عدو صهيوني عرفته البشرية قاتبه وفي شتى بقاع المعمورة، وقد اشرأبت ناصعة وضاءة مع المقاومة الاسلامية بفضل قيادة حكيمة وقدرات هائلة من العمل الجاد والمخلص في الأعداد مصداقاً للآية الكريمة ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1].

ان المقاومة الاسلامية في جبل عامل في مواجهة العدو الصهيوني»

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٠

كانت وستبقى الريادة والمنارة في هذا الطريق الطويل، قد تقرأ المقاومة رصاصة وقد تقرأها عقيدة وقد تقرأها برنامجاً وطنياً وقد تطرأها برنامجاً قومياً إلا انها هي هذا كله وأكثر من ذلك لأنها هي الأم الشرعية لتلك الحالات المترابطة التي لا يمكنك أن تقرأ احداها بعيدة عن الأخرى في الشكل والمضمون، لأنها تمثل الروح النابضة في كل مفردة من تلك المفردات الحياتية.

من هنا فإن عملية الشهيد أحمد قصير الرمز على الأرض اللبنانية وفي ثكنة من ثكنات العدو على أرضنا في صور قد شكلّت التغيير والصوت الهادر من أعماق التاريخ في مجمل العمليات الاستشهادية تماماً كعملية الشهيد محمد أبو زيد في تونس التي شكلت نهضة عارمة وثورة اعقبتها ثورات وأردفتها نمواً واتساعاً في بقية أقطار الأمة.

هذه الحالات من المقاومة تعتبر مصباح الهي يوقد من شجرة زيتونة لا شرقية ولا غربية انما هي ترجمة فعلية لتلك الذخيرة المتراكمة في اجيال هذه الأمم الصابرة.

ان الشعوب العربية عندما تقرأ تاريخها المقاوم تستشعر الدماء والآلام التي عاشتها شعوبها ومما لا شك فيه بأن تاريخ الجنوب اللبناني أبناء جبل عامل بل أبناء أبي ذر هي جزء أساسي وهام من تلك المراحل التي عاشها أبناء هذه المنطقة العاملية وما الحملة الفرنسية على هذه الأرض بحيث جعلت منها أرضاً محروقة قد مهدت الطريق لإغتصاب فلسطين على أيدي العصابات الصهيونية.

عندما عزل السلطان العثماني ظاهر العمر حاكم فلسطين من

منصبه، لجأ إلى جبل عامل فقام أبناء عاملة بالنصرة والجهاد معه وعاد إلى منصبه في فلسطين.

«والسؤال»

هل تتكرر تلك الحالة في القرن الحادي والعشرين وعودة ابناء فلسطين إلى فلسطين، هذا السؤال» برسم العرب عامة ولا بدّ من تحقيق تلك الحالة الوجدانية في ضمير الأمة.

ان طريق المقاومة واضحة المعالم والأبعاد، وان طريق المقاومة الاسلامية التي ارسى دعائمها «حزب اللّه» بقيادته الرشيدة وابعادها الروحية، قد جعلت من الرسالة الاسلامية معالم عطاء وممارسة على أرض الواقع وقد كسرت الجليد الذي أناخ على صدر العقيدة وانتقلت إلى حيز العمل والفعل في حياة الأوطان العربية.

من هنا نؤكد بأن انفتاح العقيدة على حالة المقاومة واندماج الشعوب فيها يؤكد جذوة الحياة فينا وبأننا نستحق أن نكون خليفة اللّه على الأرض.

إلاّ أنّ مخلفات الاستعمار في حياتنا الخاصة والعامة قد جذبت البعض إلى الارتهان والتبعية وانعدام الرؤيا الصافية علينا أن تتظافر الجهود لبث الوعي وترسيخ العقيدة حتى نتخلص من المياه الآسنة التي تعشعش في تلك النفوس الضعيفة، وأن في توسيع دائرة البحث والمعرفة قد تجعل القوى العميلة على مراجعة حساباتها واتخاذ العبرة والمعيار الصحيح في تطلعاتها حتى تشرق شمس الحرية في ربوع الأوطان العربية.

ان حالة المقاومة في بعديها الداخلي والخارجي هي تترجم رسالة جديدة في النفوس والعقول إذ بقدر ما تأخذ بيد الضعفاء ومستلبي الارادة بقدر ما تدحر الأعداء في ميدان الجهاد المتعدد الأساليب»والأطراف وبالتالي فإن المقاومة ستقف على أرض صلبة يختفي عليها الخفافيش والجواسيس وتنظم إلى الركب المقاوم معظم الأيادي والعيون العاملة في بناء الساحة الوطنية.

تلك هي التجربة الفريدة التي تعيشها المقاومة وبالخصوص على الأرض اللبنانية التي تكثر فيها المطبات الرخوة وأن في انتصار المقاومة اللبنانية وتأكيد مناعتها وعنفوانها ومرابطتها في التخوم لمواجهة العدو وان في الحديقة التي قدمتها الجمهورية الاسلامية الايرانية في بلدة «مارون الراس» مما يرفع الرأس ويعزز روح «الثبات والجهاد على مساحة الوطن.

«ان المقاومة هي الاحساس الوطني
الجامع لشتى المكونات الوطنية في لبنان»

تمهيد

ان الدراسة الموضوعية للمقاومة وحالاتها وأبعادها على الصعيد الوطني والقومي تأخذ أبعاداً ثلاثة، فالبعد الأول يرتكز على مقومات الوطن سواء كان ذلك من الشعب أم من الأرض أم من السلطة القائمة فيه.

فلو اخذنا المرتكز الأول وهو الشعب لوجدناه في القطر اللبناني يتشكل من سبعة عشر طائفة والتي تتعايش في تلك البقعة الممتد من رأس الناقورة حتى مجرى النهر الكبير شمالاً بمسافة قد تتجاوز المئتي كيلو متر تقريباً وبعمق يتراوح ما بين ١٧ كلم و٣٥ كلم وإنما مساحته الجغرافية هي ١٠٤٥٢كلم٢ وقد أشار سيد المقاومة بان هذه المساحة تشمل القرى السبع ومزارعها والتي الحقت بفلسطين في عهد الانتدابين الفرنسي والبريطاني في لبنان وفلسطين والهدف الذي يرمي إليه الانتدابين هو شق صف الكتلة الامامية في هذه البقعة من الأرض بحيث تشكل قوة لا يستهان بها تمهيداً لتنفيذ وعد بلفور لإقامة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين.

وان التعداد السكاني في لبنان يقارب ٤٥٠٠٠٠٠ نسمة وأن الجنوب اللبناني المتاخم لفلسطين في خط طوله ٨٠ كلم وان اللاجئين من أرض فلسطين إلى لبنان تعدادهم ٤٥٠٠٠٠ نسمة منتشرين في مخيمات اللجوء على امتداد الوطن منذ العام ١٩٤٨ عام النكبة.

والذي يجب ان نشير إليه بان الاحتلال العثماني وما رافقه من تعسف وقهر وإذلال بشريحة واسعة من الشعب وبالخصوص (الشيعة) إلاّ أنه أوجدَ إقطاعيات مرتبطة به وتنفذ اوامره وتعمل بمشيئته وإنّ أعواد المشانق التي رفعت في ساحتي الشهداء في بيروت والمرجة في سوريا من ٦ أيار لعام ١٩١٦ بيد المتصرف التركي على لبنان وسوريا جمال باشا ما زالت في ذاكرة اللبنانيين والسوريين على السواء وكذلك فإن الوصاية الفرنسية على لبنان وسوريا قد احتضنت بعض العائلات ونكلّت بالبعض الآخر حسب الأهواء والمصالح الاستعمارية.

أما السلطة التي جاءت في اعقاب الاستقلال في لبنان فمن حيث شكل الحكم فإنه دستوري برلماني يأخذ بالنظام الحر إلاّ انّ المكونات الأساسية هي في النسيج الطائفي الذي يتقاسم النفوذ وقد توزعت النسب التمثيلية مناصفة بين المسلمين والمسيحيين في مؤتمر الطائف من السعودية في أعقاب حرب أهلية رسم خيوطها البنتاغون الأميركي ولعبت إسرائيل دوراً محورياً بارزاً فيها وكان الهدف توطين اللاجئين الفلسطينيين في لبنان «وتهجير المسيحيين منه» إلاّ أنّ القيادة الحكيمة من الرئيس حافظ الأسد من القطر السوري قد أجهض تلك المؤامرة وعلى مراميها في الكيان اللبناني وهذا ما قاله الرئيس سليمان فرنجية «الجد» أمام اتحاد الفلاحين العرب أثناء زيارتهم له في دارته زغرتا

ومن المؤسف أن بعض الرموز السياسية في لبنان يتجاهلون تلك الحالة «المؤامرة» سواءٌ كان ذلك عن قصد أم عن غير قصد لأنهم يدينون أنفسهم بانفسهم.

والبعد الثاني الذي تستند إليه المقاومة هو البعد الرسالي الذي يشكل الحالة الوجدانية التي يختزنها المجتمع وتتكون أجزاؤها من تاريخه طويل ومكانته الفريدة والأوضاع التي حصلت في حياة أبنائه الخاصة والعامة بحيث تشكل الوعاء الحقيقي لمحتوى قيمه ومفاهيمه الاجتماعية والانسانية.

إن الدور الحضاري للوطن اللبناني هو في نموذجه الفريد في الديانات السماوية وإجتهاداتها المتشعبة والتي تشكل سمفونية روحية فريدة في العالم إذ تشكل التقارب الروحي لمعظم الفئات الدينية على الكرة الأرضية.

إنه صوت المجموعات الروحية العالمية في هذا المكان من الكرة الأرضية بحيث يعطيه واحةً فريدة في صحراء العالم.

إننا نجد كل إنسانٍ في العالم كبيراً وصغيراً من ذكرٍ وانثى يُريد أن يسمع ما يدور على الأرض اللبنانية سواءً كان ذلك صَوتاً واحداً أم أصوات متعددة لا فرق في ذلك لأن في داخله ضميرٌ وجدانيّ يحركهُ لتلك المعرفة الدقيقة من مكونات لبنان السبعة عشر طائفة.

إنّ هذا البعد يعطيه القدرة على صنع المعجزات في الداخل والخارج وبالخصوص إذا توحدّت معالم الطريق الوطني والقومي في عواطف وعقول أبنائه المخلصين.

أما البعد الثالث الذي تؤديه المقاومة هو الربط بين البعد الأول الذي هو الكيان والبعد الثاني الذي هو الرسالة هذا الربط يشكل مفخرة ليس لشعبه فحسب وقد أناخ على كلكله الكثير من العناصر الدخيلة والغريبة سواءٌ كان ذلك في العهد العثماني أم في عهد الوصاية الأجنبية لأن من هذا وذاك قد أثلمت شعبه الجراح وتكبدّ الخسائر وغرزت في النفوس والعقول حالات الأنانية والبغضاء والحسد بدلاً من السجية الصافية التي يجب أن تنمو في ربوعه العالية، إذ بتلك العهود المظلمة قد رفعت الخسيس والعميل والمتآمر بدلاً من حالات التوهج الفكري والعقائدي والانساني التي هي السمات الأساسية لمكوناته الطائفية.

إن المقاومة تطرح كل مساوئ الزمن الغابر بإنتفاظة حيّة وتواجه أعداء الداخل وأعداء الخارج بنفس القوة والعزم والاصرار وبذلك تصحح دوراً ريادياً هو له ومن العنفوان الانساني الذي هو ثمرةً من أثماره المتعددة بطوائفه المتنوعة في جسم المجتمع.

إن الحقيقة الوحيدة الثابتة يوم يذوب الجليد عن صدر الوطن فيترجم حيوته وتفاعله مع أقاليم العالم المتحضر والتعايش الروحي والسلمي والانساني بين الشرق والغرب لأنها تنحدر منه من مجمل مكوناته كإنحدار السيل من علوٍ شاهق ليعطي للعالم النموذج الفريد لتعايش الديانات السماوية في دوحة الجهاد الذي يغذي أبناؤه ويتغذى من أبعاد الديانات جميعاً.

«الشعب الذي لا يدافع عن ترابه الوطني
لايستحق العيش عليها»

وجهة البحث

البحثُ في حالة المقاومة هو البحث عن الانسان في أية بقعة من بقاع العالم.

إلاّ أننا ونحن نبحث في المقاومات العربية وبالخصوص المقاومة اللبنانية فإننا نجد أن هناك علامات مضيئة في تاريخ تلك الشعوب تفتح الباب على مصراعيه في رفع لواء الحق والعدالة والتحرر.

ولذا فإننا ننظر إلى تلك المقاومة من زاويتين اثنتين:

الأولى: وهي في السؤال البديهي لماذا المقاومة؟.

وهل تحتاج الأوطان العربية للمقاومة؟

وما هو حكمها في الكيان اللبناني؟.

إن الأقطار العربية ترزخ تحت نير الذل والمهانة قبل أن يتحكم في رقابها العثمانيون الذين سحقوا كل حركةٍ أو ثكنةٍ في حياة الانسان

العربي وجعلوا من الأقطار العربية مزارع لملئ صناديقهم واشباع نفوذهم حتى غرائزهم فبات العرب في هذه الأوضاع سخريةً أمام العالم اجمع وقد أفقدوا الرسالة الاسلامية جوهرها ومداميكها وحيويتها وبذور الحضارة في معالمها وأكثر من ذلك داسوا خلال الديار تحفزهم الرعونة وعقلية الاستبداد لفترةٍ امتدت أربعة قرونٍ من الزمن.

من هنا نقرأ الربيع العربي القادم وأصوات الجماهير المحتشدة في ساحاتها ونترجم حالة الاستنفار العام في سلوكياتها ونجد أنّ أصواتهم التي تتعالى إلى عنان السماء تستعيد يوميات المقاومة في البقعة العاملية على حدود فلسطين الشمالية وبذلك تتفتح في داخله عوامل القوة المغيبة تحت أحذية السلاطين والملوك والأمراء والمرتزقة على امتداد المنطقة العربية.

إنّ هذه الحالة تشكل الوثبة الكبرى في كسر القيود وتحطيم الأصنام البشرية إنه عصر المقاومة التي بدأنا نقطف ثمارها في المجتمعات العربية وتعيد للإنسان العربي التوازن الانساني المفقود عبر مراحل من التاريخ الأسود إننا إذا دققنا النظر في مجتمعاتنا فإننا نجد بانّ المقاومة هي حقٌّ بديهي في قاموسه الرسالي ومن مفردات حياته العادية وأنه يتطلع إلى ارتقاء المقاومة إلى الحالة الثورية المتجذرة في النفوس والتي تأخذ طابع التحدي الكبير في التخلص من كلِّ أدران الفساد والحواجز المصطنعة في حياتهم الخاصة والعامة هذه الوثبة الكبرى التي تلغي الحواجز المصطنعة بين شعوبه سوف تنهار امام زحف الجماهير التي تعشق الحرية والكرامة والفداء.

إن المقاومة في المنطقة العربية هي السمة الأساسية في وجدانياتها والتي غيبتها أيدي الحكّام المأجورين والظلمة أفَلاَ يحق لهذا الانسان الذي يحمل أشرف وأكمل رسالات السماء أفلا يحق له أن يتواصل معها تواصلاً روحياً حتى يتخلص من موبقات الأرض وبالتالي يتفتّح وجدانه ويقرأ آيات قرآنه بكل شرطها وشروطها وإنّ في النداء الحسيني (الامام الحسين) عليه السلام، في الاصلاح في امة جده طريقاً ومَعْلَماً يُبحث فيه ويتباحث معه كلُّ إنسانٍ في داخله قلبٌ ينبض وضمير يتحرك وبالخصوص مع كل مجلسٍ حسيني في حياته.

من هذه الزاوية الرشيدة في التاريخ العربي والاسلامي نقرأ المقاومة اللبنانية كأطهر ظاهرة وأكملها والتي لا تزال مفاعيلها تضج في اصقاع الأرض في النبل والشهادة ومهما حاول أيُّ قطر من الأقطار العربية الأثنان والعشرين أن يُجسّدا ذاتيةً خاصةً به وأن يُعطي لكيانه بعداً عالمياً واسعاً فإنه لا شك ولا ريب سيجد نفسه أمام حائط مسدود وأنّ مشاكله الداخلية ستتفاقم معه سواءٌ كان ذلك في السياسة أم في الاقتصاد أم في الاجتماع بالاضافة إلى الارتهان الخارجي الذي يُصبح أسيراً لطالبه وأهوائه والدليل على ذلك ما يقرأه كل إنسان هي تلك الأوضاع التي تعيشها الأقطار العربية مهما حاولت أن تضع المساحيق على أوضاعها البالية.

إن المقاومة تُجسّد حالة التوحد لشعوب المنطقة وهذا قد سمعناه في اصوات الجماهير بإنتفاضاتها المتتالية تُلبي نداء المقاومة الاسلامية في لبنان، ام أن بآذان الحكّام أكنّةً لا يفقهون بها إنّ بوصلة المقاومة هي في وحدة الأمة وفي وحدة الأمة وحدة الرسالة ووحدة

التطلعات المستقبلية الذي ترعاها بدون شك العناية الالهية.

إنّ الكيانات المصطنعة في الوطن العربي هي مجالٌ للنهب والسرقة والاستغلال والتفتت ولا يمكنها أن تُلغي وليس بإستطاعتها ان تقف في وجه التيار العربي الهادر الذي توحده المشاعر والوجدانيات والمصير الواحد وإنّ في المقاومة المنارة الدليل على صدق وتأجج تلك الأحاسيس والعواطف التي تنبع من قلوب الجماهير.

الزاوية الثانية: التي تتبلور في المقاومة هو السؤال عن إيديولوجية المقاومة فما هي تلك الإيديولوجية؟.

إنّ القراءة في حيثيات المقاومة يعطيك الاجابة الواضحة فهي ليست حكراً على شعب دون شعب ولا على رسالة سماوية دون رسالة بل هي تنطلق من صميم كل شعب مضطهد ومن جوهر كل رسالة لأنها في الشعب كل الشعب ومن الرسالة كل الرسالة وللتذكير في مفردات تلك الايديولوجية[1] فهي حقيقة كل شعب ووجدانياته والمصداقية الانسانية فيه خصوصاً في وجه الشدائد والملمّات بل هي الطريق الواسع إلى الحياة المشبعة بأريج العطاء والتضحية والفداء وإنّ في مقاومة المعتدي ردعٌ له عن ارتكاب الفعل السيىء وعدم الوقوع في الضلالة والخسران وفي ذلك تحقيق لإنسانيتهم المغيبة تحت ستار الأطماع والاستغلال والاستبداد.

إنّ المقاومة اللبنانية عندما نحققها في حياتنا الخاصة والعامة إنما نحقق ذاتنا الانسانية ونخلق في شائج المجتمع اللحمة الحقيقية

(١) أيديولوجسيا: فن البحث في الأفكار والتطورات.

وبالتالي تنعدم الحساسيات الدونية وتختفي الانانيات والشحناء وتسيطر روح الالفة والمودة بين أبناء المجتمع.

إن المقاومة عندما نحققها في حياتنا إنما نشكل في تحقيقها حالةً من حالات الردع الحقيقي لأطماع العدو الذي لا يرحم ولا يرعوي وقد عرفناه وعرفه العالم بانه عدوٌ شرس ومجتمعٌ حربيٌّ بإمتياز لا يعترف بحقوق الآخرين وحرمة حياتهم ولا يحترم أية قواعد روحية أو إنسانية وقد خبرناه بإعتداءاته في ضربه مركز اليونيفل[1] التي احتمت به الناس كباراً وصغاراً فصبّ نيرانه عليهم بكل فضاضة وفي قانا (الجليل) ما زالت أعماله الوحشية قد سجلها التاريخ فكأنما هو يتغذى بتلك الحالات الهمجية ويبني صروح مجده عليها.

إن حالة الاستنفار الشعبي في اتجاه المقاومة تجعل من كل مواطن غفيراً ومقاوماً في آنٍ واحد ونصبح جميعاً العين الساهرة في اتجاه العدو لا عيناً واحدة باعتبار أننا لا يمكننا أن نختصر اعماله الوحشية بحالةٍ من الحالات بل تشكل كل حالات العدائية في آنٍ واحد.

من هذا الفهم العميق لذلك العدو الصهيوني وعملائه علينا أن نتخذ موقف الحذر الدائم والجهوزية اللازمة وتبقى العيون مفتوحة أمام تماديه وأعماله الاجرامية.

إننا نؤكد بما لا يرقى إليه الشك بأنّ العدو في حالة استعداد وجهوزية حربية عالية ولا تزال الولايات المتحدة الأميركية تمده بكل انواع الأسلحة المتطورة والحديثة وإنّ اساليُبه ووسائلُه متمادية في هتك

(١) يونيفل: قوات الأمم المتحدة.

ترابنا الوطني لذلك يجب أن لا نجعل من ساحتنا الوطنية في حالة استرخاء وعدم اكتراث كما يُصرّح بعض الساسة الذين يلعبون على الحبال بل يجبُ التنبه إلى ما ينصبه العدو وعملائه من أفخاخ ومكائد والحذر كل الحذر أن يسقط السلاح من ايدينا لأننا نحن الخاسرون في النهاية، فالكلام الذي يأتي من هنا وهناك سواءٌ من الرموز السياسية او من المنابر الأقليمية والدولية فإنها جميعاً تصب في خانة العدو بل يجبُ أن يبقى السلاح مرفوعاً وليس موجوداً فقط فالسلاح في وجه السلاح معادلة قائمة إلى أبد الآبدين، تلك هي السمة الحقيقية لحالة المقاومة على الأرض اللبنانية سواءُ كان ذلك في خياراتها الوطنية أم في مشروعية السلاح للدفاع عن وجودها ومواقعها وإنجازاتها التي دفعت في تجسديها الدماء الغالية التي روت أرضنا الطهور، وإنّ أي صوت نشاز من خارج تلك المعادلة هو في موقع العدو ولا شيء آخر وإنّ زمن الجهل والتجاهل قد أصبح في مزبلة التاريخ.

وعلينا ان نعمم ثقافة وتوجهات المقاومة ليس على الصعيد اللبناني الذي ما زال البعض يعيش حالات الارتهان الماضية والفكر المرتبط بشبكة الوسائل الاستعمارية في حالة مواجهة مع المقاومة بل على الصعيد العربي عامة بحيث نعطي لكل شعب من شعوبها إمكانية بناء وتجسيد حالة المقاومة وذلك لن يكون بمنةٍ من الحكام بل على الشعب أن ينتزعها ويتفاعل مع حالات المقاومة بكل الإصرار والحذر وبذلك يحقق وجدانياته وأهدافه في الحرية والتقدم.

الفصل الأول

عناوين المقاومة

إنّ راية الظلم هي الراسخة في العالم الأوسع، والقلة الفاجرة تمارس قرصنة التاريخ وتضليل الحضارة واسترقاق الإنسان، فالمقاومة التي اكتسبت أبرز صفاتها كحركة ضد الغزو الأجنبي للبلاد والعباد فثمة من يتربص باللحظة دائماً ويلطخ صفحتها بما تأمر به الأبواق الخارجية التي تريد الخزي والعار لمجمل المجاهدين وخصوصاً على الأرض اللبنانية التي بأرقها امتشاق البندقية لأبناء عاملة في وجه توأمه المدلل على أرض فلسطين.

ان مقومات المقاومة ليس منبتها في تغيرات الشعوب وما حملته من رياح عاصفة هنا وهناك، إنما هي عميقة الجذور في التاريخ الانساني متداخلة في اوصال المجتمعات إلى حد كبير، إذ لا يمكن الفصل بين فكر المقاومة والرسالات السماوية التي تزخر بالنداءات ضد الوهن والخنوع والخذلان

أمام أي زحف يريد بها شراً سواء كان ذلك من الداخل أو الخارج.

فإذا الفكر الاسلامي العربي كان له التأثير الفعلي في حياة الانسان إذ بذلك الموروث الانساني الزاخر الذي لم تتوقف خلالها مياهه عن الجريان وقد أوجد أرضية قابلة للإمتصاص وإنساناً برمق الشمس ويبحث عن مصادر النور، فالزمن لم يعد عاقراً والأشجار تخلت عن عريها، والعقول تفتحت منابعها الرشيدة والانسان العربي والعاملي خصوصاً قد هضم تلك المعرفة وتداخلت مع وجدانياته فلن يرضى الضيم والهزيمة تتسربان إلى حياته بل انخرط في القضية مما سهل لهم طريق النصر.

إن العصر الكبير هو عصر المقاومة لا عصر الفلاسفة لأن ما بين الكلمة المجردة والفعل شيء آخر، فالفعل المقاوم هو الذي يضيف إلى الواقع الملموس نتائج حسية تؤدي إلى كسر شوكة المعتدي وإلحاق الضرر بمواقعه المتقدمة مما يشكل خياراً آخر للعدو في التقهقر والهزيمة والعودة من حيث اتى أن آثر السلامة على نفسه والعودة إلى دياره.

ان المقاومة الاسلامية التي رفعت شعار مقاومة الاحتلال ليست موضع نقاش في العقيدة الاسلامية بل هي ابنته الشرعية لأن الدعوة الاسلامية الذي قطع النبي محمدﷺ المرحلة المكية من نضاله محاوراً يتوسل الاقناع طريقاً إلى عقل قريش هي في نفس الأسلوب الذي تواجه به الشعب اللبناني باعتباره المدخل الأساسي للحوار على الصعيد الوطني والقومي وتلك هي الغاية التي قصدها الرسول من محاورة قريش للدخول إلى الحجاز وشبه الجزيرة العربية ولم يتوقف هذا النهج وهذا الأسلوب في التعاطي مع مجمل التكتلات القائمة

سواء مع اليهود ومع حركة النفاق التي تم استيعابها في اطارها السياسي وكذلك فإن الصراع بين المدينة ومكة لا سيما في احدى محطاته الهامة وهي معاهدة الحديبية» التي كان بين نصوصها ترك الخيار لمن جاء المدينة من قريش بأن يعود عن قراره إذا شاء ذلك وبالعكس، وهذه الحالة اعطيت الخيار للمجاهدين على الساحة الوطنية قاطبة.

ان مبدأ الآخاء في السياق القرآني قد تجسد بوضوح في احدى أبرز منجزات الهجرة، معبرة عنها صيغة المؤاخاة «الفريدة التي تمثلت بوحدة الأوس والخزرج في اطار (الأنصار) وفي وحدة هؤلاء مع (المهاجرين) من قريش إلى المدينة، ولعل في النصوص التاريخية الكثير من الصور لهذه الحالة الراقية التي بلغت ذروتها في (المدينة) وانتشرت بعد ذلك مع الفتوح الأولى وان عام ألفين من ٢٥ أيار إبان اندحار الاحتلال يعطي الصورة الحية لتلك الارادة الاسلامية والانسانية في التعامل مع من لبسوا ثوب العدو وعملوا معه وقدموا لهم التسهيلات والأعمال التي تضر أبناء جلدتهم في الشريط المحتل خير دليل على صدقية المقاومة في النهج والممارسة الاسلاميين.

الفقرة الأولى: ابعادها التاريخية.

اصطلاح المقاومة هو اصطلاح جديد في اللغة العربية وهو بمعناه الحديث، قد لا يزيد في عمره كثيراً، إلا ان هذا لا يعني أن الفكر والثقافة العربيين لم يعرفا معنى المقاومة، فالعربية غنية بالاصطلاحات التي تفيد هذا المعنى وما يقرب منه، ومن الاصطلاحات التي كانت تفيد هذا المعنى التقليدي أو القديم للمقاومة هو اصطلاح الخروج أو

الفتنة. فالطبري[١] الذي يفرد ما يقرب من المئة صفحة للحديث عن «مقاومة الزمج» كما نسميها، لم يستعمل كلمة مقاومة أبداً في كل هذه الصفحات بل يستخدم كلمة فتنة التي أصبح لها معنى سلبي مع الأيام، والطهطاوي[٢] الذي يفرد الصفحات الطوال للحديث عن المقاومة الفرنسية بكثير من التأييد والتعاطف يستخدم كلمة الفتنة أيضاً فبدلاً من قوله المقاومة الكبرى، يقول: «الفتنة الكبرى» كما يستخدم اصطلاح الخروج بمعنى المقاومة فيقول: «خروج الفرنسيين».

فالخروج والفتنة والتمرد والانتفاض والقيام وغيرها كلها اصطلاحات تحمل ما يفيد معنى «المقاومة» وليس أدل على ذلك من أن إحدى المخطوطات التي تتحدث عن تاريخ الثائرين على السلطة عبر العصور العربية في الأندلس حملت عنوان، أخبار النازين والخارجين والنازون هم الغزاة المتمردون.

وإذا كانت هذه الاصطلاحات تتضمن أبعاداً سلبية تنتقص من قيمة مضمونها فلأن المقاومة دائماً ضد الخلافة التي لها الطابع الديني بالدرجة الأولى وعلى سبيل المثال فإن الدولة العباسية في احدى مراحلها عرفت نفوذاً تركياً كبيراً كان له أثره الهام على مجريات الأمور العربية في الخلافة، في الوقت الذي كان هذا النفوذ يتستر بعباءة الخلفاء العباسيين أنفسهم هذا النفوذ التركي الذي قام على أثره نفوذ فارسي وبويهي وسلجوقي أدى إلى انعكاسات هائلة على الخلافة العربية وقد أدى إلى انفصالية عن الخلافة سواء كان ذلك في

(١) الطبري: نسبة على طبرستان وهو ابن جرير من كبار المؤرخين.
(٢) الطهطاوي: أحمد رافع الحنفي ولد في طهطا (مصر) وتعلم في الأزهر.

مصر أم في تونس أم في سورية وعلى سبيل المثال الدولة الطولونية والأخشيدية والحمدانية والفاطمية ولعلّ «مقاومة الزنج» التي قادها علي بن محمد تعتبر من اهم الأحداث التي واجهتها الخلافة العباسية ويعود علي بن محمد بنسبه إلى الامام علي بن أبي طالب عليه السلام حتى أن جده الرابع هو زيد بن علي.

بدأ علي بن محمد مقاومته في البحرين وكان شعاره اللون الأبيض بعكس اللون الأسود للعباسيين وبقي مدة سبع سنوات واتباعه من العرب حيث انتقل إلى الاحساء ولم يكن لعنصر الزنج أي دور في تلك المرحلة لم تكف الدولة عن ملاحقته

واعتقال عدد من اتباعه بينهم ابنه الأكبر وابنته وزوجته. وعندما اكتسب أول زنجي في صفوفه ومن معسكره حول البصرة وجه دعوته إلى العبيد من الزنوج فاجتمع اليه بشر كثير وقام يخطب بهم ويحدثهم عن اهداف مقاومته وتخليصهم من الرق وتحويلهم إلى سادة لأنفسهم وقد قام عملياً بتكريس تلك الحالة على الأرض عندما ساهم الزنج في تحرير الرقيق وعندما لمسوا صدق القائد وأخذ يعمل على إقامة العدل والمساواة وقد اتهمت بأنها ثورة عنصرية ضد العرب واستقر في افهام الكثرة من الناس أنها كانت «مقاومة زنجية» إلاّ أنها في الواقع العملي مقاومة عربية إسلامية نهض بها عرب مسلمون زنوجاً كانوا أم غير زنوج.

الفقرة الثانية: ابعادها الوطنية والقومية.

منذ وجود الانسان ككائن اجتماعي متميز عن سائر الكائنات الحية، برزت العلاقة الواضحة بينه وبين الطبيعة من جهة وبينه وبين أخيه

الانسان من جهة اخرى، وعن طريق هذه العلة الوثيقة كانت الحياة الانسانية ميداناً واسعاً من الأحداث والتجارب التي تعتبر المدرسة الاجتماعية الكبرى لإنسان العصر الحاضر بعد اطلاعه عليها وفهمها والتعليم منها.

من هنا يعتبر من الضروري عند دراستنا لأي حدث اجتماعي أو لأية ظاهرة أفرزتها بيئة معينة، ان تعود لأحداث الماضي وتجاربه وللإستفادة منها عن طريق المقارنة ودراسة المراحل التفصيلية لها والنتائج التي تمخضت عنها، لإعطاء المعنى الحقيقي للحدث الاجتماعي ومعرفة جذوره واسبابه ونتائجه.

وعندما كان الحدث الاجتماعي وليد التاريخ والمجتمع ولا يمكن أن يوجد خارج نطاقه كذلك فإن التاريخ لا وجود له خارج العمل البشري، وعندما كانت الأرض بدون بشر تدخل في نطاق عملية جغرافية بحتة، كانت العلاقة الوثيقة بين الأرض والبشر، وكان التاريخ نتيجة لهذا الوجود المترابط والعلاقة المتداخلة بينهما.

على هذا الأساس، كانت اجتماعية الانسان واستمالة وجوده منفرداً ومنعزلاً، لأن ذلك يعني انتحاره بصورة بطيئة، ولم يكن ذلك بإرادته واختياره بل فرض عليه فرضاً أن يكون اجتماعياً وفي اللحظة التي يولد فيها، يتناوله العالم ويحوله من مجرد وحدة بيولوجية إلى كائن اجتماعي.

ان هذا الكائن الاجتماعي له دور وطني بامتياز عندما يتعرض كيان الوطن امام هجمة شركة من اعدائه في الخارج وتظهر أنياب

المأجورين والخونة في الداخل فإن حالة المقاومة التي في وجدانيات الشعب واحدى انماط حياته تقف بالمرصاد أمام هذا السبيل الجارف من العدائية الاختراق الهائل لبنية المجتمع الذي قد تزعزع أركانه وتقضي على أسسه الاقتصادية ومفاصله الاجتماعية التي تجعل منه صخرة صماء يقف عليها المجاهدون بقوة وعظمة.

فالوحدة الوطنية التي يقرها الشعب باعتباره مصدر السلطات في الدولة الحاكمة يقف بصلابة امام هذا التحدي ويواجهه بعناد وقوة تغير ميزان المعركة لصالح أبناء الوطن.

إلاّ أن القومية العربية لتلك الأوطان لم تكن وليدة الساعة بل ظهرت عوامل تاريخية لعبت ولا تزال دوراً في تكوينها ومن اول الأولويات ازدياد الوعي بوجود أزمة حضارية تشمل النواحي السياسية والاجتماعية والدينية وان التحدي الكبير مع الغرب يتعدى التكنولوجيا العسكرية إلى جميع مناحي حياة الانسان وفي تحديه وأحقاده التاريخية على الاسلام وأنه يريد تحطيمها أو احتوائها فإن حركة الوعي القومي في الجزائر أو في مصر وقد صادف ذلك مع ظهور الصهيونية في قلب فلسطين يغذيها ويستغلها الاستعمار الغربي مع العلم بأن الامبراطورية العثمانية قد وصلت إلى مرحلة الاحتضار النهائي واوتوقراطية الحكم وتخشب المسؤول وانعدام الحوار بين المسؤول والمثقف وهكذا أوجد العرب أنفسهم يحاربون الاستعمار والتجزئة التي تخلق واقعاً جديداً.

وهكذا دخلت الشيزوفرينيا السياسية إلى الفكر العربي ما بين واقع الدولة الصغيرة الوطنية والوجدان العربي الذي كان يطالب بالوحدة

العربية وتحولت المقاومة إلى مقاومات قطرية وانحسر السد عند حدود القطر وباتت مشاكل كل قطر تفرض نفسها على المقاومة وتمنع امتدادها إلى بقية الأقطار بل انقلب السحر على الساحر وباتت المقاومة اسيرة ومرتهنة في قوالب ضيقة يصعب الانفلات منها.

الفقرة الثالثة: ابعادها الرسالية.

في حالة التيه الفكري والسياسي وغياب الهيكل السياسي الشرعي المقبول الذي يسمح بالحوار الهادف ويشجع على تبادل الآراء والأفكار بحيث أصبحت الهوة كبيرة ما بين المفكرين وصناع القرار بحيث أصبح العداء المستحكم بينهما وقد أصبح كل منهما غريباً عن الآخر، كل يعمل في غربته ومن ثم في غربة عن الشعب فإن المقاومة الرسالية لا بد أن تتخطى تلك التراكمات من الأوضاع الجامدة لتتحرك في مناخ صحي ونظيف امثال المناضل عبد الكريم الخليل الذي حرّك أمة بكاملها بهدف الاستقلال عندما قال من على منصة المشنقة «احملي إلى كل عربي سلام هؤلاء الشهداء».

من خلال هذه التركة الاجتماعية أصبح الولاء الأول والرئيسي للملة حيث يزدهر حال الفرد أو عكس ذلك ومن خلال مبدأ عدم عمومية القانون الذي عمق الولاء للمجتمع الأصغر وسمح باستمرار المجتمع الفسيفسائي أصبح طبيعياً أن يكون هناك تعددية في الولاءات وتراكمية في الهويات وهذه التعددية التي كان من المفروض أن تشكل عنصر جمال وبهاء للمجتمع

أصبحت ولا زالت عنصراً هاماً من عناصر النزاع وعدم الاستقرار.

فالقوانين القطرية التي نشأت بعد الحرب الكونية الأولى وكذلك معظم الدساتير المستوحات من التجربة الغربية تؤكد المساواة النظرية بين المواطنين كافة لكنها تتعارض مع التركة السياسية في المنطقة ومع التراث السياسي للمجتمع الفسيفسائي الذي ساد عبر قرون طويلة، هذا التراث وضع حدوداً معينة لا يجوز لأفراد الملّة أن يتخطوها أو التعدي عليها أو حتى مجرد التفكير بذلك.

فالدرزي كما لغيره من المسلم أو النصراني مكانه الخاص وأن تحرك ففي حدود الحيز المتعارف عليه. والتشريعات الحديثة التي لم تأخذ هذا الأمر بعين الاعتبار أدخلت قدراً كبيراً من الارباك إذ فسحت المجال نظرياً للمساواة. بينما تقيدت عملياً وتشريعياً بقيود تراث الملل متجاهلة أو غير واعية في اغلب الأحوال لضرورة فتح مجال العمل العام حسب الكفاءة الشخصية ليتناغم هذا مع المساواة النظرية التي طرحها التشريع الجديد.

فالعمل حسب الكفاءة ضرورة أساسية لإستكمال شرط المساواة فإذا انتفى الأمر بسبب التركة السياسية التقليدية حصل الارباك والتناقض الأمر الذي ادى إلى مزيد من الارباك والبلبلة والى التململ والضجر السياسي وإلى اللجوء إلى العنف.

هذه الحالة التناقضية حطمت اتجاهاتها المتنافرة حالة المقاومة التي فرضت نفسها على الساحة الوطنية الواحدة وأيقظت القدر الوطني والقومي في النفوس والعقول عندما أعطت المعنى الحقيقي للإسلام المنفتح الذي يعزز الاخوة الانسانية سواء كان ذلك على الصعيد الوطني أو القومي بل اتجهت إلى تحديد الخيارات الوطنية في

التحرير وفرض السيادة الوطنية على جميع الأراضي الوطنية دون تمييز بين بقعة واخرى أو بين ملّة وأخرى بل كان الاتجاه الواحد والهدف الواحد هو الصوت الذي يعلو فوق جميع الأصوات حتى وان بدى بعضها ناشزاً.

فالمقاومة بإسلاميتها قد ارتفعت فوق المعوقات التي ولدتها نزق الحكام الذين تعاقبوا على هذه الأرض الطيبة والتراكمات الفكرية الضيقة والفتاوي الاسلامية المبتورة كي تلبي مصالح الحكام المستبدين بحيث شكلت حالة حاضنة للمطالب الشعبية على مساحة الوطن.

الفصل الثاني

المقاومة على الأرض اللبنانية

مما لا شك فيه بأن اللبنانيون عموماً والعامليون خصوصاً كانوا وما زالوا السباقون في المواقف الوطنية والفاعلون حقاً على الساحة الجهادية وهذه الحالة من مميزات الشخصية اللبنانية التي تأبى الضيم وتكره الاستكانة خصوصاً في أوقات الملمات والشدائد بل تنتفض بكل قواها الجسدية والنفسية والعقلية لترد كيد الكائدين سواء كانوا من الغزاة الطامعين أم من الحكام المستبدين والتاريخ اللبناني حافل بهذه المكرمات سواء كان ذلك في العهود السابقة او الوسيطة أم في العصر العثماني أو الحديث، ففي كل منها علامات مضيئة من رجال نذروا أنفسهم للدفاع عن حياض الوطن وإغاثة الملهوف ونصرت المظلوم ففي جميع هذه الميادين نبرز أسماء وتُنسى أسماء إنما تراب الأوطان ما زال مضمخاً

بدمائهم الزكية فالشهيد عبد الكريم الخليل في العهد العثماني كانت له خطوات جريئة وأعمال ملموسة حتى وصل إلى أعواد المشانق مع

قلة من المجاهدين وهم يهتفون، والمقاوم ملحم قاسم المصري[١] الذي قضى معظم وقته في التدريب على الرماية، وها هو المقاوم أدهم خنجر[٢] يهاجم معاقل الفرنسيين متحالفاً مع المقاوم صادق حمزة[٣] ومحمود بزي[٤] في شبه حلف عسكري مما جعلت منهم قوة لا يستهان بها على صعيد النضال الوطني - هذه المنارات وغيرهم كثر يعتبرون بحق طلائع المقاومة الاسلامية التي نعيش معالم انتصاراتها اليوم.

فالمقاومة ليست حالة طارئة على الجسم اللبناني بل هي استمرارية لمقاومات عديدة وأليمة سبقت انما كان ديدنها النصر.

من هنا نعترف بان الحالة الصحية السليمة التي ما زالت تتغلغل في نسيج المجتمع اللبناني هي المقاومة وان معظم مرتكزات الحكم والادارة فيه تتراوح بين الفعل وعدم الفعل حتى انها تشكل عبئاً على الخزينة العامة في معظم نشاطاتها

وأعمالها ومما يلفت الانتباه ان المقاومة الاسلامية وأجهزتها الصحية والثقافية والميدانية والاعلامية محصورة تماماً في نفقاتها ومشترياتها ولوازمها الخاصة والعامة من الهبات والتبرعات والمساعدات التي تقدم بهذا الخصوص وان تراكمية الدين العام وتوسعه الهائل هو صنيعة الحكام وزبانية الحكام ومؤامرات الخارج المرتبطة بها. ولن

(١) ملحم قاسم المصري: من بريتال ولم يألف جو الكتّاب وباع أربعين رأس من الأغنام واشترى بثمنها مسدسات وبنادق.

(٢) أدهم خنجر: من المروانية والده من وجهاء العشيرة الصعبية.

(٣) صادق حمزة: الفاعور وقد انحصرت أعماله العسكرية في صور.

(٤) محمود بزي: من بنت جبيل.

ولم يقدم للمقاومة اكاد أقول قرشاً واحداً من تلك السيولة المالية التي تذهب في دهاليز الانفاق التبذيري.

والسؤال لمن الغلبة في هذا المناخ القذر والجواب بأن الحق يُعلى ولا يُعلى عليه والعافية للمتقين. بسم اللّه.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1].

الفقرة الأولى: الكيان الصهيوني.

ان التعريف ببنية الكيان الصهيوني المصطنع من حيث المواصفات الديموغرافية والاجتماعية لسكانه والمهام الرئيسية التي تغنيها السياسة الاسرائيلية لتثبيت وجوده في المنطقة العربية فإننا نجد ان التوزيع السكاني حسب أصولهم الغربية والشرقية ومن خلال هذه التفرقة العنصرية يؤكدون وجود التمايز العرفي - الطائفي - الطبقي وإن خطط الاستيطان الصهيوني المتلاحقة بهدف السيطرة على الأراضي الزراعية للسكان العرب الفلسطينيين، اما البنية الاسروية داخل الكيان الصهيوني والتوزيع النسبي للإعمار حتى المستوى التعليمي للسكان والمسألة الطبقية وهي ثابتة في شريحتين:

١ - **الشريحة الأولى**: تمثل اصحاب البيارات والأراضي وأصحاب المؤسسات والمصارف المالية والتجار وأرباب الصناعات.

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٢.

٢- **الشريحة الثانية**: هي بيروقراطية الهستدروت وأحزابه ومدراء المؤسسات الاقتصادية والمعامل الصناعية ومكاتب العمل.

ان مشكلة الفقر بين السكان اليهود فمرتبطة بمشكلة التمييز العرقي والطبقي فالأغلبية الساحقة من الفقراء هي من الطوائف الشرقية.

أما السياسة الداخلية فهي تعتمد كلياً على بناء القوات الحربية وتطوير الصناعات الحربية المختلفة بما يتناسب مع نظريته في الحرب الخاطفة ضد العرب ومتطلبات تطوير الاستيطان في الأراضي العربية المحتلة.

أما في المجال الخارجي نجد التركيز على احتواء اليهود في العالم والعمل على تهجيرهم إلى فلسطين وتطوير العلاقات مع دول االعالم، وخاصة الولايات المتحدة الأميركية التي تؤيد السياسة الصهيونية واهدافها العدوانية.

ان سياسة العدو الصهيوني قائمة على التفاوض مع كل دولة عربية على نحو منفرد من دون شروط مسبقة، ولست أقول سراً عن الغزو الاسرائيلي إلى لبنان عام ١٩٨٢ قد اشترك بالتخطيط فيه البنتاغون الأميركي حتى ان بعض رؤساء الدول الأوروبية اشتركوا في هذا التخطيط. وان العمل الأساسي والجهد الأساسي للصهيونية هي الوقوف في وجه بناء شخصية مستقلة للشعب الفلسطيني وليس أدل على ذلك من الدفاع المستميت لمنع الفلسطينيين من تقديم الاعتراف بالدولة الفلسطينية إلى الأمم المتحدة.

أن الهم الأول والأخير للحكومات الاسرائيلية هي الاهتمام بالجيش

وإعطائه سلم الأولويات في الكيان وتجهيزه بأحدث الأسلحة ليروي النزعة التوسعية العداونية لقادة العدو.

اما النظام السياسي في الكيان الصهيوني المصطنع فإن مسؤوليات وصلاحيات الحكومة والبرلمان ورؤساء الوزارات فإنها تكن العداء للعرب وعدم الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني فالجميع منفقون على العداء للعرب وان اختلفت اساليبهم احياناً حتى الأحزاب والحركات العمالية فإنها تسير في نفس الاتجاه وبالخصوص الحركات الدينية وفي جميع هذه المرتكزات في البنية السياسية للكيان فإن سيطرة الفكر الصهيوني على ممارسة سائر التنظيمات السياسية الصهيونية ومسيرتها داخل الكيان الصهيوني وسيطرة النزعة التوسعية العدوانية في خططها وبرامجها السياسية والطابع المميز لهذا الكيان هو التعاظم المارد في عسكرة الكيان الصهيوني المصطنع.

فالعلامة المميزة هي في وحدانية الأهداف والمخططات الأميركية – الاسرائيلية حول فرض الهيمنة الأميركية على دول المنطقة وضمان التوسع الصهيوني.

وان الخلافات أحياناً فيما بينها فهي على حصة كل منها في الكنيست وليس على مواقفها من القضايا العربية.

وهنا لا بد من الاشارة بأن الاحتكارات العالمية ومن ضمنها رأس المال الصهيوني تجد في الكيان الصهيوني ضمانة اساسية لإستغلال خبرات المنطقة العربية وهي بالتالي تعد المساهم الكبير في الدعم الاقتصادي لهذا الكيان الشاذ.

لذلك نجد أن السبيل الوحيد لإحباط المخططات التوسعية للعدو الصهيوني هو في تحقيق التوازن الاستراتيجي مع العدو الصهيوني كضرورة ملحة من اجل تحرير الأرض واسترداد الحقوق وتحقيق السلام.

فقرة ثانية: الفلسطينيون بين حدي التهجير والقتل.

لم تكن نكبة عام ١٩٤٨ على أرض فلسطيني عملية عادية في تاريخ الشعوب بل كانت عملية مدبرة ومخططة قامت بها الحركة الصهيونية على يد اليهودي النمساوي «لبودرهرتزل»١٨٦٠م - ١٩٠٤م ولهذا الغرض دعا إلى عدة مؤتمرات يهودية عالمية أهمها مؤتمر بال في سويسرا وقد تبنى الإنكليز مشروع إقامة الكيان الصهيوني وقد عملوا على أن تكون فلسطين في دائرة انتدابهم بناء لإتفاقية سيكس - بيكو عام ١٩١٦ وكان وعد بلفور لعام ١٩١٧ الذي يعطي اليهود حقاً لهم بإقامة وطن قومي في فلسطين.

قامت الحركة الصهيونية باستقطاب يهود العالم إلى فلسطين في علم الانتداب البريطاني واخذوا يقدمون الاغراءات والتهديدات والقتل بترك الفلسطينيين لأراضيهم وقد ضمنت حكومة الانتداب الوعد الذي قطعه بلفور للحركة الصهيونية.

وقد صدر قرار تقسيم فلسطين ذي الرقم ١٨١ بتاريخ ١ آب ١٩٤٨وتضمن فقرتين: الأولى: اجلاء المنطقة الواقعة في أرض الدولة اليهودية وإيجاد ميناء عربي لها.

الثانية: اقامة دولتان في فلسطين واحدة عربية وأخرى يهودية.

لم يقبل العرب هذه السياسة الظالمة فقام الفلسطينيون بعدة انتفاضات في أعوام ١٩٢٠م ١٩٢١م وأهمها انتفاضة عام ١٩٣٦ التي شملت كل البلدات الفلسطينية وعم الاضراب كل البلاد وقمعتها السلطة المنتدبة بقوة السلاح وأجهضت الثورة بعد ان قتلت أربعة آلاف شهيد.

فالانتداب البريطاني كان قصيراً ومدروساً بين البريطانيين والصهاينة وقد انتهى في ١٥ ايار ١٩٤٨ واعلن بن غوريون ابرز زعماء الصهاينة دولة اسرائيل واعترفت بها الدول الكبرى.

هذه الدولة التي تم الاعتراف بها اقتلعت دولة كانت قائمة واحلّت شعباً مكان شعب موجود، فالدولة التي قام الانتداب البريطاني عليها قد قام بتخريب كل مكوناتها الأساسية فألغى المجالس المحلية والادارات وأخذ يمسك بزمام الأمور ويحولها شيئاً فشيئاً إلى ايدي الصهاينة وبدأ التنكيل بكل من يحتج أو يعاكس تلك الأعمال فقامت ثورة عز الدين القسام الذي باع بيته واشترى ٢٤ بندقية واعلن الجهاد وأن ثوار فلسطين لعام ١٩٣٦ كان معظمهم من تلاميذه حتى انه طلب من الحاج أمين الحسيني مفتي الديار الفلسطينية طالباً منه اعلان الثورة في الجنوب في الوقت الذي يعلنها هو نفسه في الشمال وقد رفض الحسيني الثورة المسلحة لأنه يؤثر التوصل إلى حلول سياسية.

ان هذه الدولة الصهيونية تجسيد حقيقي لموضوع الارهاب إذ انها تقوم على منظومة فكرية وجملة من القيم والمفاهيم والمعتقدات

العينية التي يجري تجسيدها وترجمتها إلى أفعال وممارسات على أرض الواقع ويستطيع من يرصد متأنياً المفاهيم الفكرية والعقائدية والنفسية التي نشأ اليهود عليها عبر العصور والأزمان وما أفرزته قريحتهم من ممارسات سلوكية مع الآخر وأحياناً مع الذات المتناقض، فإنه سيدرك وبشكل جلّي هذا الترابط الكبير بين منهجهم العام ومفهوم الارهاب وسيجد ان تاريخ الارهاب الحديث في الشرق الأوسط متلازم تماماً مع الحركة الصهيونية، بل هو نتاج فكرهم وحركتهم وممارستهم حيث لا يكاد يمر يوم دون ان ترتكب اسرائيل اعمالاً عدوانية وارهابية ضد المدنيين في فلسطين ولبنان وغيرها من البلدان العربية بحيث لا يمكنك أن تغمض عينك مع الرصد والانتباه لكل حركة أو سكنة تأتي منها. هذا هو الأختبوط الصهيوني الذي اوجدته القوى الاستعمارية في المنطقة العربية كوسيلة سلب ونهب للثروات الباطنية والنفطية ومدار هيمنة تملي فيها سياستها الاستسلامية والخضوع لشروطها في كل حين.

فقرة ثالثة: الكيانات العربية القائمة.

عندما تحطم النفوذ العثماني في اعقاب الحرب العالمية الأولى قام الغرب على توزيع تركة الرجل المريض، فعن طريق «عصبة الأمم» التي انشأت كمنظمة عالمية لجميع الدول من أجل حل الخلافات بالطرق السلمية والعمل على اخضاع كل من يخرج عليها، تحكمت الدول المتحالفة في الحرب العالمية الأولى والتي كانت تواجه المانيا ومعها تركيا في مصير التركة التي لا تغرب عنها الشمس وهي

الامبراطورية العثمانية وفي هذا المجال قامت بريطانيا وفرنسا بوضع خارطة لتقسيم البلدان العربية مع انها حاربت إلى جانب الحلفاء من اجل التخلص من النير العثماني والحصول على الاستقلال الوطني والقومي، إلاّ أنهم كانوا يبيتون شيئاً آخر للعرب في إنشاء الكيانات الهزيلة والتي تحمل في داخلها بذور التفرقة والخلافات التي لا حصر لها بالاضافة إلى اعطاء الصهيونية القطر الفلسطيني بعد وضعه تحت الوصاية البريطانية تحت عنوان وعد بلفور فإذا كانت المنطقة الآسيوية من البلدان العربية قد وضعت تحت الانتداب الفرنسي والبريطاني فإن القسم الافريقي لم يكن أحسن حال منه فقد وضع تحت الانتداب البريطاني مصر وتونس والمغرب والجزائر تحت الانتداب الفرنسي وليبيا تحت الحكم الايطالي، حتى أن الفرنسيين اعتبروا الجزائر جزءاً من الأرض الفرنسية عبر البحار ولكن المقاومة الجزائرية بلد المليون شهيد قد استطاعت الحصول على الاستقلال وطرد المستعمر الفرنسي من البلاد ومما لا شك فيه بأن الفلسطينيين يقوموا بنفس الدور المقاوم مع الغزاة والمحتلين الصهاينة.

ماذا يمكن أن تقدم لفلسطين الجريحة والسليبة تلك الكيانات التي لا حول لها ولا قوة والتي تخضع للمستعمرين الأوروبيين وان كانت تتمتع بالسلطة المحلية التي لا تملك من أمر البلد شيئاً فعندما وقعت الحرب العربة الاسرائيلية الأولى برهنت هذه الحرب فساد النظام الحاكم بل وخيانته في معظم تلك البلدان العربية.

لقد سئم الشعب الفلسطيني من كونه لاجئاً وقرر الاعتماد على نفسه فكان الاعلان عن بداية الكفاح المسلح الفلسطيني ضد الاحتلال

الاسرائيلي «فتح» وقد تمكنت من شق سياسة جديدة قائمة على الاستقلالية الفلسطينية والاعتماد على الذات وطريق الكفاح المسلح لإسترجاع الأرض المغتصبة.

فقرة رابعة: المقاومة الشعبية والاسلامية في لبنان.

بدأ الفلسطينيون عملياتهم العسكرية ضد اسرائيل عام ١٩٦٧ حيث بلغت العمليات العسكرية سنة ١٩٦٨ (٢٩ عملية) وسنة ١٩٦٩ (١٥٠ عملية) وكان عدد الفلسطينيين نهاية الستينيات ٢٣٥ الف نسمة، شكلوا خزان ضخ لتزويد المقاومة بالمقاتلين وقد أيد المسلمون في لبنان حرية العمل الفدائي في منطقة العرقوب مما حدى بالدولة إلى وضع اتفاق القاهرة مع الفلسطينيين وتنظيم العمل الفدائي وبداية العمليات من لبنان ومنها عملية مطار اللد وعملية كورال سيتي وعملية ميونيخ فكانت عملية فردان من الكوموندوس البحري الاسرائيلي واستطاعت اغتيال ثلاثة قادة في المقاومة

الفلسطينية وقد دخل لبنان في أتون حرب اهلية، خططت لها دوائر البيت الأبيض واسرائيل لضرب صيغة العيش المشترك اللبنانية واستنزاف سوريا في لبنان وبالتالي استنزاف المقاومة وضرب دور لبنان في المنطقة وطمعها في المياه اللبنانية والوصول إلى توطين الفلسطينيين في لبنان.

عندما يئس الامام موسى الصد قدس سره من الدولة اللبنانية التي لم تستطع حماية الجنوب دعا الناس إلى تحمل واجب الدفاع عن النفس إلى جانب الجيش اللبناني وكانت عبارته المشهورة «السلاح زينة الرجال»

وقد تحمّل قيادة المقاومة من الإمام المجاهد مصطفى شمران وأثبتت جذوتها في التصدي للإجتياحات الإسرائيلية فكان الاجتياح الأول ثم الثاني للجيش الاسرائيلي على الجنوب اللبناني حتى وصلت إلى بيروت ودخلتها بعد حصار دام شهرين منفذة مجازر في المدنيين والأمنيين في هذا الجو المأساوي قام تجمع جبهوي تحت عنوان «شورى لبنان» إلاّ أن انتصار الثورة الاسلامية في إيران أحدث تياراً هائلاً في صفوف الأمة الاسلامية وكان بعضاً من رجالات الحرس الثوري وكان التدريب اليومي وقد اقيم العرض العسكري ليوم القدس على مرجة رأس العين في مدينة بعلبك.

إلا أن المقاومة التي نشأت معبأة بالروح الاسلامية الجهادية لم تترك في الفراغ بل قامت مؤسسة الشهيد لبلسمة الجراح ورعاية عوائل الشهداء وكانت أولى عمليات المقاومة الاسلامية في البقاع الغربي في معسكر البرّاج حيث أصيب العدو بالهستيريا لكثرة عدد القتلى وتتالت العمليات من السريرة إلى التل الأخضر. إلاّ أن العلامة المميزة في المقاومة الاسلامية هو وجود الشيخ راغب حرب والفكر الاسلامي الذي يحمله بين جبينه فبعد أن أعطى الأمر بمقاطعة الحرس الوطني الذي شكلته اسرائيل دعا إلى التركيز والمقاومة ضد المحتل اليهودي وعدم تحويل بوصلة الصراع عن الهدف الأساسي ومقولته الشهيرة «ان المصافحة اعتراف» وقد اعتقل في اول الأمر، إلاّ أن الانتفاضة الشعبية بدأت بالاعتصامات على غرار بلدة جبشيت وقد وجد المحققون الاسرائيليون صلابة الموقف والعقيدة في الشيخ راغب حرب فاطلق سراحه وفي هذا المجال الجهادي وبداية العمل الاستشهادي مع

الشهيد أحمد قصير في مقر الحاكم العسكري في صور فقد اعترف العدو بسقوط ٢٠٠ جندي مما جعلت العدو يفكر بالانسحاب وقد اعقبه عمليات استشهادية من الشهيد علي صفي الدين ثم عملية السفارة الأميركية في بيروت وعملية المارينز التي جعلت المتعددة الجنسيات إلى الانسحاب من لبنان، وإذا أردنا إلى سرد العمليات للمقاومة فإننا ندبج الصفحات الطوال ولا يسعنا حصرها بل نؤكد حقيقة واحدة بأن الوجدان الاسلامي يصنع المعجزات إذا ما تم الكشف عنه في قلوب وعقول المسلمين، أن المقاومة الاسلامية وهي تقوم بعملياتها الميدانية مع العدو في قمم الجبال التي تحصن بها لا تقل ضراوة عن العمليات الاستشهادية التي تهاجم العدو على الطرقات العامة مما جعلته يحسب الف حساب إلى خطواته على تلك الطرق وجعلته يفكر مرتين بالانسحاب والفرار من الأرض التي دخلها معتبراً أنه قد احتلها وهو خاوي متهالك تماماً مما حدد الخامس والعشرين من أيار لعام ٢٠٠٠ انسحابه من الأراضي اللبنانية وقد تجسد في لوحة تذكارية على نهر الكلب في عهد فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية إميل لحود، كما نقشت لوحة الاستقلال وغيرها من لوحات نقشت لجيوش مرت من هناك.

الفصل الثالث

المقاومة على الأرض العربية

من خلال التجزئة القطرية كان من الطبيعي أن يعمل الاستعمار سابقاً واسرائيل فيما بعد الآن على تشجيعها لا بل العمل على ضربه بمزيد من التفتيت والبلقنة. فالاستقلال الذي حصل عليه العرب جاء من خلال واقع التجزئة بحيث حارب العراقي أو المصري والسوري أو الجزائري الاستعمار من خلال هويته القطرية. وقد شيدت هذه الدول نفسها كذلك علاقات خارجية وعلى الرغم من ادعاء كل منها «الحياد الايجابي» فكرياً وسياسياً إلاّ أنه لكل منها ارتباطاتها السياسية والمذهبية العقائدية المنفردة التي أثبتت الأحداث صعوبة الانفكاك منها. إن القيادات الحالية في تلك الدول منهمكة في عملية تحقيق الاستقرار والبحث عن الأمن وان لها الأولوية على الأمن القومي وانها هي القيمة الأساسية لدى الأنظمة المحلية وفي هذه الحالة أصبح انعدام الديمقراطية والمشاركة

الشعبية وإلى عمل هذه القيادات في الظلام بحيث اصبحت الدولة وسيلة من وسائل الريبة والرهبة والخوف وعدم التعرف على المشاكل الحقيقية والقنابل الزمنية الموقوتة من طائفية أو

مذهبية أو فكرية التي لا بد لها من الانفجار أن عاجلاً أم آجلاً.

ان ظاهرة بقاء الحس الوحدوي القومي عبر القرون الطويلة التي انطمست بها الشخصية العربية دليل على قوته وصحته وبالخصوص إذا ما تعمق من خلال وجدانيات الاسلام الذي يمثل الذروة في بناء الشخصية العربية الاسلامية وقد عمل هذا الحس الوجداني الجماهيري على عفويته ليحد احياناً من تسلط الحكام ويمنع المزيد من الانعزالية والتفرقة مذكراً إياهم أن هناك حدوداً للفرقة وان الجماهير لها رأي بالموضوع وعليهم أن يحسبوا لها ألف حساب.

الفقرة الأولى: الانتفاضات في البلدان العربية.

إذا كانت الانتفاضات هي حالة ملازمة للشعب في أي بلد من البلدان فإنها تعتبر الضمير الحي الذي يؤجج الصدور الوطنية

ويدفعها إلى اقتحام المواقع الأمامية في مواجهة أية حالة مضطربة وافرازات مشينة في البنية الاجتماعية لتحطيمها ودك حصونها أو لمواجهة غزو أجنبي يطال البلاد والعباد ففي كلا الحالتين تقوم الانتفاضة كرد فعل على تلك الأعمال التي تريد الشر والعدوان.

والبلدان العربية من جملة الشعوب التي تعاني الأمرين في مواجهة أعداء الداخل والخارج فمن جهة ظهور الصهيونية وتمركزها في فلسطين واحتضار الامبراطورية العثمانية لعدم تكيفها مع الواقع الجديد بالاضافة إلى اوتوقراطية الحكم فيها وتخشُّبْ المسؤولين وانعدام الحوار العقلاني بين المسؤول والمثقف والشعب. وهكذا

وجد العرب أنفسهم يحاربون الاستعمار والتجزئة وبذلك انعكس على واقع الدولة الصغيرة الوطنية التي شيدت لنفسها هياكل وأفرزت قيادات وصاغت نظماً سياسية وتربوية واقتصادية واجتماعية مختلفة وتنامت قوة الدولة القطرية بوليسياً وظهرت القيادات الكارزماتية وتتالت المصائب كل منها يخلق واقعاً جديداً ويفرض انحرافات جديدة في هذه الحالة قامت الانتفاضات وكانت تونس أولى الدول العربية التي أعلنت الانتفاضة عندما أشعلها «محمد بو العزيزي» بأن أشعل نفسه أمام دار البلدية وقامت بصدقية وعفوية الشباب إلاّ أن مطالبها قد انحسرت في اسقاط رموز النظام وليس عملاً تغييراً شاملاً. ثم اعقبتها مصر التي تعتبر بمثابة الأم للدول العربية وان في انتصارها هو خروج مصر من القمقم الذي وضعت فيه وان في عودتها إلى قيادة النضال العربي هو تفعيل النهضة العربية واعطائها المدى الرحب وفك أسرها من أيدي الغرب وربيبتهم اسرائيل، فالتحالف الشيطاني بين الأنظمة العربية والقوى الامبريالية هو لخدمة أجنديات خارجية لا علاقة لها بتطلعات الشعوب العربية.

وها هي انتفاضة اليمن تأخذ مداها الطبيعي على الساحة اليمنية بالرغم من الدعم الذي يتلقاه رئيس الدولة علي عبدالله صالح وما نشهده في البحرين يعطي الدليل على مدى الحاجة إلى وضع أسس النظام الدستوري والبرلماني الذي ما زالت ارض الجزيرة العربية تنؤ تحت سلطة الملكية المطلقة والذي يدعو لتأمل الأحداث التي تقع في سوريا فهي ليست انتفاضة بل مجموعات مسلحة أعدت منذ زمن للعمل التخريبي وجر البلاد لصالح الأمبريالية الأميركية والغرب

عموماً لخدمة الكيان الصهيوني وان ما ستكشفه الأيام يبرهن على صحة ما نقوله بحق تلك الأحداث الدامية.

ان مستقبل التغيير الديمقراطي في الوطن العربي اليوم على مفترق طرق والانتفاضات التي تقوم هنا وهناك وستتوسع شعبياً في اسقاط الملكيات والأمراء الذين ما زالوا يحملون عفن التاريخ القديم وكأن الاسلام لم تضيء شمسه تلك الأرض المقدسة.

أما القضية الفلسطينية فقد استطاعت المقاومة أن تدخل إلى الديار الفلسطينية وما ان وطأت أقدام شارون المسجد الأقصى حتى قامت الانتفاضة في جميع القرى والمدن الفلسطينية بالاضافة إلى الشارع العربي الذي وقف إلى جانب الانتفاضة الفلسطينية وما زالت الانتفاضات تتوالى في الداخل الفلسطيني حتى تأخذ الدولة الفلسطينية الخارطة على أرض فلسطين وان تشكيلات المقاومة الفلسطينية هو غنى للعمل الفلسطيني النضالي بشرط أن يكون الاتحاد هو صمام الأمان في العمل الجهادي لأن اسلوب الصهاينة «فرق تسد» فالمحافظة على الوحدة الوطنية الفلسطينية شرط أساسي لنجاح عملية التحرير وبناء الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

وها هي ليبيا التي قام على أرضها الحكم الايطالي بأشرس اعماله والتي قاد النضال ضده المجاهد عمر المختار واحمد السنوسي إلاّ أن الانقلاب الذي قام به معمر القذافي وبقي جاثماً على صدر الليبيين مدة أربعون عاماً نجد اليوم الشعب الليبي قد قام بانتفاضة مسلحة

لخلاصه والتخلص منه ومن الغريب أن يقوم الحلف الأطلسي بمآزرة الشعب في مواجهة القذافي نتمنى أن لا تبقى القوى الأجنبية في ليبيا وأن لا تتكرر ماساة العراق بالتخلص من صدام حسين دخلت الولايات المتحدة الأميركية وقد انسحبت معظم القوى الحليفة التي حاربت صدام حسين انما الولايات المتحدة الأميركية ما زالت تماطل بهذا الفعل وذاك لكي يبقى لها موطئ قدم على الأرض العراقية منبع النفط ذي الجودة العالية وتبقى استثماراتها هناك وحديقة تلعب منها لمصالحها ومصالح اسرائيل.

فقرة ثانية: الأحزاب في البلدان العربية.

ان قرآة متأنية في الأحزاب التي تعمل في البلدان العربية تكاد تغرق المجتمع بالكمية التي وصلت اليها في بعض البلدان العربية لتلك الأحزاب في اقطار اخرى وكأن الفكر الجمعي ينعدم في بعض البلدان العربية لأنك تجد فيها حالة مناوئة ومضاءة سواء في ذلك الهيكلية التنظيمية للدولة أو الخط السياسي الذي تنتهجه الكتلة الحاكمة أو العائلة الحاكمة في بعض منها هذه الافرازات الحزبية في بعض الأقطار والتي تصل إلى حد التخمة منها لبنان فإنها قد تشكل محاور تصادمية في بعض الأحيان وتأخذ اتجاهات متعارضة أحياناً أخرى بحيث تربك الساحة الوطنية بتعاملاتها مع بعضها البعض الذي لا يعطي البلد أي مردود إنساني حتى أن المصداقية معدومة بين اطرافها.

فلو أخذنا كل قطر على حدى لوجدنا أن الحزب الحاكم هو الحزب الوطني قد اتخذ من مفاصل الدولة مرتكزات له وأخذ يتصرف وكأن

الدولة مزرعة له ولم تتمكن الأحزاب الأخرى من ان تقف في وجه الحزب الحاكم لأنه أعطى لنفسه طابع الدولة بكل مقوماتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية حتى الثقافية وقد اتخذ سلطة البوليس السياسي العصا الغليظة والتنكيل الشرس بكل من تسوّل له نفسه الوقوف في وجه التيار السياسي القائم.

أما في السودان حزبي الأمة والاتحاد وهي أكثر الأحزاب نضجاً وديناميكية وان في انتهاج السياسة المتفردة من الدولة قد أدت إلى تقسيم البلد مع العلم بان الوحدة السودانية تشكل منارة القارة الأفريقية لو أحسن التعاطي بين مسلميه ومسيحييه تحت السقف الوطني.

وها هي الأردن بمليكها والأحزاب التي تعمل على الساحة الأردنية لم تستطع ان تمنع اتفاقية «وادي عربة» التي أبرمت مع العدو الصهيوني والمثل يقول «عندما يكثر الطباخون تشوط الطبخة».

أما الجزائر التي خرجت من مقاومتها مع الفرنسيين حتى قيل: بلد المليون شهيد وعندما تصل الجبهة إلى الحكم إذ بها تتنكر للقيم التي خرجت منها الثورة منتصرة،فعندما تخوض الجبهة الإسلامية للإنقاذ الانتخابات وتكتسحها تقوم القيامة ولا تقعد، لماذا؟ لأن العقلية الغربية ما زالت معشعشة في النفوس والعقول عند الذين يمسكون زمام الأمور ويديرون دفة الحكم في الاتجاه الذي يحقق رغباتهم واحلامهم.

لقد كان هناك احزاب في تونس، هل استطاعت تلك الأحزاب أن تقف أمام استغلال النفوذ للرئيس زين العابدين وعائلته، أبداً فالحزب إن لم يتخذ أهدافه النابعة من قلوب بنيه مساراً حياً يدفع به إلى العمل

النضالي الفعّال، قد يصبح عبئاً على الجماهير إذا ما استسلم بعض قادته إلى الإغراءات من قبل الدولة حتى المشاركة في بعض السمسرات والاستنفاعات من خزينة الدولة.

قد يكون العراق قد دخل مع الحزب إلاّ أن مفاعيل الحزب وديناميكية الحزب قد وضعت على الرف واستبدلت بأجهزة المخابرات والغنائم وبناء القصور بدلاً من تحقيق المبادئ الأساسية في تفعيل مقدرات الدولة لصالح الجماهير ودفع عجلة الاقتصاد في الطريق السليم وبناء علاقات قومية تحقق حلم البعثيين في الوحدة والحرية والاشتراكية وان القفزة النوعية للملك في المغرب وتعاطيه مع القضية الصحراوية وتعاونه مع الأحزاب وبالخصوص حزب الاتحاد الاشتراكي إذ اعطى لرئيسه رئاسة مجلس الوزراء، وتلك منقبة مميزة تترجم حالة الوعي في تحقيق أماني الجماهير.

وإذا أخذنا الوضع في سوريا ولبنان فإن الحزب الحاكم في سوريا قد أخذته نشوة الحكم إلى جانب الجبهة الوطنية وغاب عن باله أن العدو يعد القوة للإنقضاض عليه في أية لحظة، وها هو نائب الرئيس عبد الحليم خدام والذي أمسك الملف اللبناني، ينحرف عن خط القيادة ليأخذ مكاناً مناوئاً للحكم، فبدلاً من ان يكون الحزب في لبنان هو اليد التي تصافح اتخذ من الزعامات اللبنانية باطنة له، فإذا الزعامات تنقلب على القطر السوري والحزب يحمل أثقاله، فأية عافية تُرجى عندما

يقتنص الحزب أبناءه في لبنان المشرع الأبواب على كل الدروب بأحزابه المتعددة الولاءات والاتجاهات.

أما في اليمن فقد أفرحتنا وحدة اليمنيين في العام ١٩٩٠ إلاّ أنها وقد تعددت الأحزاب فيها لم يستطع أن تتخلص من الرئيس علي عبدالله صالح الذي تربع على الحكم زهاء أربعين عام ولم يخطر في باله أن يدفع بالعملية الديمقراطية وتداول السلطة حتى قامت الانتفاضة التي ما زالت تملئ الشوارع بصراعاتها ويافطاتها مطالبة منه بالتنحي عن الحكم وما زالت الحالة بين كر وفر وما زال الرئيس يفكر في كيفية الخروج من السلطة التي تقدم له الاغراءات والمنافع.

وعلى الشطر الآخر من النهر العربي لا تعترف الدولة بالأحزاب، ويكاد الحكام يقررون لأنفسهم بحق تقرير المصير لأبناء الشعب كيفما يريدون وكأن الأوطان خلقت لهم وقد نزلوا اليها من السماء والرعية على الأرض الوطنية ما عليها سوى العمل والشكر كل الشكر لصاحب النعمة فيما يقدم من اعمال سواء كذلك على الصعيد الخاص أم العام وفي البحرين مجرد ان قام الشعب يطالب بحقوقه الوطنية استنجد الأمير الملك بدرع الجزيرة من الجيش الذي يحمي بلدان الجزيرة العربية وهم مرتزقة لا يعرفون اللغة العربية انما يعرفون القمع والتنكيل وهدم المنازل والجوامع وقتل النفوس البشرية وفي ليبيا القذافي التي دفعت الثمن غالياً لنيل الاستقلال من الطليان والذين اباحوا جميع المحرمات في التنكيل والتعامل الشرس، قد فرح عندما قام ضابط من الجيش بانقلاب على الملك السنوسي الذي يتربع على خزائن المال دون أن يقدم شيئاً لشعبه، إلاّ أن القذافي قد أبعد ملكاً ليتبؤ مكانه ملكاً آخر انما هذا الملك القذافي من نوع آخر انه يعرف كيف يتصرف بالمال ويكنز المال، والشعب كل الشعب في وادي آخر لا حول له ولا قوة.

من هنا نجد بأن النظرة الطبيعية والاسلامية لوجود الأحزاب يؤشر على التعددية السياسية وعلى عملية الرأي والرأي الآخر وعلى امكانية تداول السلطة بين مكونات الشعب بصورة سلمية، هذا إذا استطاعت الأحزاب أن تعمل على الساحة الوطنية بحرية تامة وتدخل المجال التنافسي في الانتخابات لتحقق طموحاتها الاجتماعية والسياسية.

ان من يمسك بزمام السلطة هو الذي يدير دفّة الحكم وكأنه ربّان سفينة تمخر في بحر هائج. والسؤال الذي يطرح: هل تُبنى الأوطان على هذا النسق من السفن؟ إلاّ إذا كانت حال تلك الأوطان مسلوبة الإرادة ومحكومة بقوى ليس بإستطاعة الحكام التخلص من تلك الهيمنة الرهيبة.

فقرة ثالثة: الأحزاب القومية والرسالية في البلدان العربية.

في الوقت الذي انطلقت الانتفاضة الجماهيرية المستمرة في الأراضي العربية الفلسطينية المحتلة كان واضحاً في حينها الترابط الوثيق بين تلك الانتفاضة والعمليات البطولية والاستشهادية التي قام بها المناضلون ضد سلطات الاحتلال الصهيوني والتي انطلق معظمها من جنوب لبنان بعد الغزو الصهيوني واحتلال ذلك الجزء من الأراضي العربية اللبنانية.

وكان واضحاً أيضاً الترابط الحاصل بين تلك الانتفاضة وبين جماهيرها العربية على امتداد ساحة الوطن العربي وذلك من خلال الانتماء القومي لهؤلاء الأبطال الذين نفذوا تلك العمليات منهم من كان من لبنان وآخرون من سورية وبعضهم من تونس وغيرهم من العراق،

ومصر وشتى أجزاء الوطن الذي وان توزعت أخطاره وتعددت فإن قضيته وقضية مواطنيه واحدة لا تؤثر فيها الأقليمية الضيقة أو القطرية المحدودة أو البلدية المقيتة. فقد تجاوزت المقاومة تلك الحدود المصطنعة وكذلك تجاوزت الانتماء الطائفي والعائلي والعشائري وحدود الانتماء الطبقي لتشمل باتساعها وتنوعها الوطن بمجموعه. تلك هي السمة القومية التي وسمت عمليات المقاومة كما اتسمت بها الانتفاضات في الوطان العربية وبالخصوص داخل فلسطين المحتلة.

فما هي الأحزاب التي التقت مع هذا النهج المقاوم وما هي الرسالات التي تحمي وتفعل تلك الامكانيات وتغذي الوجدانيات في صدور المقاومين ومما لا شك فيه بأن حزب البعث العربي الاشتراكي كان السباق في هذا الضمار في القطر العربي السوري منطلقاً من قومية المعركة مع العدو الصهيوني وحلفائه، ومنطلقاً كذلك من أن التجسيد العملي لقومية هذه المعركة يجب ان ينعكس على الواقع المقاوم وان يظهر نفسه من خلال تلك العمليات البطولية.

ومنذ وقت طويل أكد حزب البعث العربي الاشتراكي بمختلف الوسائل بأنه لا بد من وجود قاعدة مادية مقاومة، متصدية لكل أشكال الانهزام وأشكال مشاريع التصفية التي يسعى بعض الرموز والحكام سواء من الداخل أم من الخارج للتعامل معها والتي لن تؤدي بالتالي إلا إلى أشكال أمبريالية صهيونية من التسوية للقضية الفلسطينية.

ان وجود هذه القاعدة المادية التي ترتكز عليها الجماهير العربية في نضالها اليومي يغذي المقاومة ويدعمها ويساندها ويتمسك بالمبادئ

الأساسية لها. حتى يتحقق النصر النهائي على العدو وطرد المحتلين الصهاينة واسترجاع الحقوق المغتصبة والأرض السليبة.

لقد حصل حزب البعث العربي الاشتراكي بقيادة الرئيس حافظ الأسد من سورية القاعدة والمرتكز الذي يدعم المقاومة والانتفاضة والتي ترفض المساومة وتتمسك بالمبادئ والحقوق القومية والتاريخية لا تنحني أمام عاصفة المفرطين والمساومين ولا تخضع لأية ضغوط مهما كان نوعها ومصدرها تبني قوتها الذاتية من اجل الوصول إلى التوازن الاستراتيجي كي تنطلق بعد ذلك في التحام جماهيري رائع مع كافة قوى الخير والمساندة لتحقيق أروع انتصار يعيد للأمة كرامتها وحقوقها ويجدد الأمجاد السالفة التي زهى بها تاريخنا المجيد.

لقد كانت الثورة الاسلامية التي أشعل فتيلها الامام الخميني قدس سره قد أحدثت تياراً هائلاً في صفوف الأمة الاسلامية

وهذا ما مهد لنشوء حزب اللّه الذي أصبح فيما بعد تياراً مقاوماً صلباً لا تهزه الأنواء ولا تخمد جذوة الايمان في صدور كوادره المقاومة حتى النصر والشهادة. بذلك تمكن حزب اللّه من ان يكون القوة الرادعة للعدو في انتهاكاته للحدود أو للعمل التخريبي على أرض الوطن فقد بني سياجاً من الرصد المحكم والمقاومين الساهرين في الثغور لكل شاردة أو واردة يمكن أن يقوم بها العدو الذي لا يمكنك حصر أفعاله وجرائمه في حالة معينة بل ينطلق من جميع الزوايا ليحقق على الأرض جرائمه البشعة وفي داخل الأرض الفلسطينية قامت حركة التحرير الاسلامية وقد لاقت تأييداً وسعاً من جماهير الشعب الفلسطيني في

مصداقيتها ونضالاتها الفعلية تماماً كما فعل حزب اللّه في المقاومة الاسلامية التي جعلت طريق التحرير معبدة أمام المناضلين الأحرار.

مع انبلاج شمس الاسلام في إيران على يد الامام الخميني قدس سره والتي التقت مع الفكر القومي الحر في سوريا إلى المقاومة الاسلامية في جنوب لبنان والتي يقودها حزب اللّه وفي داخل فلسطين قد قامت حركة التحرير الاسلامي(حماس) وبذلك اكتمل العمل الجهادي الذي لا يحتمل المساومة والهوان بل أرست قواعده وبنيانه العقيدة الاسلامية التي لا يأتيها الباطل ابداً.

وهذا ما رفع من قدرة المقاومة على المواجهة في حرب تموز لمدة ثلاثة وثلاثون يوماً حمل فيها العدو ما تبقى من آلياته العسكرية رافعاً علم حزب اللّه حتى لا يتعرض للقصف والابادة أثناء انسحابه، وهذا ما حصل في الركن الشمالي من فلسطين في غزة عندما قامت المواجهة الحقيقية مع الغزاة الصهاينة فارتدوا خائبين على حدود غزة سلاحهم طائراتهم ومدافعهم البعيدة المدى دون أن يتخطوا ولو شبراً واحداً على أرض غزة المقاومة. إنما للتاريخ نسجل بأن المقاومة الاسلامية في الجنوب اللبناني في الوقت الذي كانت تواجه أشرس واعتى آليات عسكرية وطائرات تقصف دون رادع حتى بلغ تعداد الأماكن السكنية خمسة عشر ألف وحدة سكنية وهذا الاحصاء قامت به الكوادر المدنية في حزب اللّه أثناء المعركة عجبت عندما انتهت طلبت من المواطنين الحضور الى مراكزها المتعددة لكي تأخذ ايجاراتها السكنية لمدة سنة

بمبلغ خمسة عشر مليون ليرة لبنانية، حتى لا تبقى عائلة بلا مأوى

وتأخذ مكانها المشرّف بين العائلات اللبنانية أجمع هذا النمط من التفكير لا يدخل في عقول الجهلة والنفوس المريضة والمادية النزقة إلاّ من كان وما زال عقيدة اسلامية أصيلة يحملها كابر عن كابر وتتوارثها الأجيال بغذاء الأمومة وبصائر الرجال.

فقرة رابعة: انصهار الأمة في بوتقة النضال.

ان الحالة النضالية التي تتفاعل في كيان الأمة مشبعة بالروح الرسالية السماوية المحمدية الأصلية تأخذ أبعاداً عديدة وبالخصوص الأزمة الحضارية التي تخذ أبعاداً مختلفة ومتعددة تشمل النواحي السياسية والاجتماعية والدينية مع العلم بان الغرب منبع التحدي مع الاسلام والعروبة وهو جاء في تحقيق أهدافه وتثبيت دعائم ربيبته إسرائيل وأنه لا بد له من تحطيم الحضارة الدينية الاسلامية أو على الأقل احتوائها وهو في هذه الحالة قد صادف ارادة التحرر العربي وبالخصوص في الجزائر ومصر.

بهذا الواقع وجد العرب أنفسهم يحاربون الاستعمار على عدة جبهات والتجزئة التي كانت تخلق واقعاً جديداً وأن تكون لنفسها شخصيات وتمتلك وسائل العصرنة من خلال نقل المؤسسات الغربية. والذي زاد المشكلة وعمقها أن المسلم العربي كان يخاطب الوجدان نظرياً دون الالتفات إلى واقع الحال.

في هذه الأثناء تنامت قوة الغرب الصناعية وتنامت وسائله التدخلية وقامت الصهيونية بتحقيق حلمها وتنامت قوة الدولة القطرية بوليصياً وتتالت المصائب كل منها يخلق واقعاً جديداً في حياة الأمة.

فالخليفة في العهد العثماني كان رمز الشرعية السياسية ونظام الملّة كان المضمون الاجتماعي الذي يشمل الأفراد والجماعات في وعاء شرعية الخلافة السياسية الواسع. والشريعة الاسلامية في المفاهيم السلطانية كانت تتعايش بوجود شرائع خاصة لكل ملّة. وهكذا أفسح التراث السياسي الاجتماعي المجال للتعددية بحيث كان من الممكن للمسلم السني والشيعي والنصراني الأرثوذكس والكاثوليكي والدرزي والقبطي والموراني والبهائي أن يعيشوا جميعهم تحت سقف واحد، فالشريعة كانت قانوناً شخصياً لا قانوناً جغرافياً عاماً لكل الناس. اما الدولة فكانت مجرد حارس وجابي لا تقدم خدمة ولا تفتح مدرسة ولا تبنى مستشفى ولا تسعى للتنمية وأن تدخلت فلتضرب وتؤدب وتأخذ دون عطاء.

أما الغرب الاستعماري ما فتئ يخلق واقعاً تلو الآخر فانشغل العرب بتفتيهم إلى وحدات اقليمية ومن ثم أشغلهم بمجالات الوصول إلى الاستقلال وأشغلهم بالفتنة الطائفية كلما سنحت الظروف أو الأهداف التي يرمي إليها من وراء ذلك.

بالرغم من كل ذلك فإن المفكرين العرب غير قادرين على ما يبدو من كتاباتهم ومؤلفاتهم التخلي عن فكرة الوحدة العربية.

فإذا كانت القومية تجمع بغض النظر عن الدين، والدين يجمع بغض النظر عن القوم فكيف إذا اجتمعت الحالة القومية والدينية في سباق واحد وعملية واحدة بإمكانها ردم الهوة بين الشعوب العربية وبعث الحياة الحارة في المجتمعات العربية ان الحس الوحدوي القومي والاسلامي لم يغب بالرغم من العقبات الكثيرة التي واجهته والسؤال

الكبير؟ كيف السبيل إلى استثمار هذا الحس؟ وما هي الوسائل الواجب اتباعها لتحقيق تلك النقلة في حياة الشعوب العربية؟

للإجابة على هذه التساؤلات لا بد من الاعتراف بأن هناك قوى ودولاً قائمة دافعت وتدافع وستدافع وبضراوة وشراسة عن وجودها وان هناك ولاءات حقيقية تمت في المنطقة الأولى للأوطان الصغيرة على كافة المستويات.

وهنا لا بد من التأكيد على أمرين ضروريين أولهما ضرورة البدء بعملية التغيير بصورة مستمرة ومتحركة وفي الاتجاه الصحيح والأمر الثاني اعتماد أسس المنطق في الطرح وقد وجدنا أن العقيدة الواحدة لم تتمكن من الجمع بين العراق البعثي وسوريا البعثية. فعلينا أن ندرك هذه الحقائق وأن نسير في الاتجاه الصحيح بمعقولية وعقلانية وموضوعية وما علينا إلاّ أن نستبدل الطرح الوحدوي الاندماجي بصيغة أخرى تشكل حافزاً للدول على التعاون، ضيقة تحوي الكيانات القائمة وتشعرها بالاطمئنان وتركز على المصالح والأهداف الحيوية الاستراتيجية التي تضمن بقاءها ضمن بقايا المجموعة العربية.

ان الاتجاه الصحيح الديناميكي للوحدة يلزمنا الاعتراف بالمؤسسات العربية القائمة كجامعة الدول العربية وما يتفرع عنها من مؤسسات وعلى تشجيع الوحدات الإقليمية والعمل على تقويتها ومنها مجلس التعاون الخليجي الذي يمكن أن ينضم إلى أجزاء أخرى من الجزيرة العربية ومجلس التعاون العربي الذي يمكن أن يشمل دول أخرى من الشرق العربي والسودان ويمكن أن يتشكل مجلس لوادي النيل في القرن

الأفريقي. ولا بد من العمل على دفع مؤسسة معاهدة الدفاع العربي المشترك ومجلس الوحدة الاقتصادية وبذلك نخطو في مدة قصيرة خطوات كبيرة في اتجاه الأمن القومي عسكرياً واقتصادياً وغذائياً. أضف إلى ذلك تنمية مؤتمرات قمة لقادة العرب لتصبح مؤسسة فعالة لها اجتماعات دورية وامكانية جمعها في حالات طارئة وقد ينبثق عن هذه الاجتماعات لجان تنفيذية للنواحي الذي صدرت في أعقاب تلك المؤتمرات على ان تكون الأمانة العامة قطب الرحى في تنظيم تلك العمليات القومية.

ان الذي يفت من عضد الجامعة العربية في أعقاب اجتماعاتها وتوجيهاتها هي انها بحاجة إلى مبدأ الإجماع وهذا العمل لا يؤدي إلاّ إلى طريق مسدود فلا بدّ من استبداله بمبدأ الأغلبية. ومن المفيد في هذا المجال وعن طريق البرلمان العربي أن يتم العمل على توحيد نظام التعليم على جميع المستويات وخلق فكر وثقافة ولغة مشتركة ولكي نكون عملانيين على القيام بخطوات وسيطة كإنشاء مراكز بحث وجامعات قومية وتشجيع على التفكير العلمي الصحيح وتقل التكنولوجيا وتشجيع عملية الابداع والخلق وتأسيس صناعات عربية موحدة أو مؤسسات

استثمار ناهيك عن العمل على شق الطرق فيما بين الأقطار ومد سكك الحديد لنقل البضائع والركاب بحيث يصبح مبدأ التكامل بين البلدان العربية أمراً واقعاً.وان البيان الختامي للمؤتمر الاسلامي أثناء حرب تموز لعام ٢٠٠٥ والذي عقد في عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية وقد جاء فيه:

١- أن كل من يتبع أحد المذاهب الأربعة من اهل السنة والجماعة (الحنفي، المالكي، الشافعي، الحنبلي) والمذهب الجعفري،والمذهب الزيدي، والمذهب الأباضي، والمذهب الظاهري،فهو مسلم ولا يجوز تكفيره.

٢- أن ما يجمع بين المذاهب أكثر بكثير مما بينها من الاختلاف.

ومما قاله مرشد الثورة الايرانية أية اللّه العظمة السيد الخامنئي دام ظله بان «حزب اللّه» هو خط الدفاع الأول عن الشعوب الاسلامية.

من هذه الحالات التي تعيشها الشعوب العربية قامت الانتفاضات في كل قطر من الأقطار لتكتب قدرها بأيديها وتكون كلمة اللّه هي العليا في حياتها الخاصة والعامة.

الفصل الرابع

السؤال الأساسي:
هل المقاومة حالة آنية أم دائمة

إذا أردت ان تزور الجنوب العاملي اللبناني فيجب أن يكون دليلك مقاوم لأنك لو كنت تريد أن تزور الأماكن الأثرية لوجدت الكثير منها شاهد على عظمة هذا الشعب، إلاّ أن المواقع التي تزورها هي مواقع البطولة والفداء والتضحية حيث يقول لك الدليل بان على هذا السفح قد سقط الشهيد فلان وفلان وفي هذا المثلث من الطرق سقط الشهيد فلان وفلان.وعلى تلك التلال التي تحصن بها العدو أثناء احتلاله فإذا تلك الحصون قد دمرت وسقط فيها الشهيد فلان وفلان والسبحة تكر وتعدد الشهداء والمواقع المنارات التي يقرأها أصحاب القيم والمبادئ لا أصحاب المرابع الليلية والصالونات المخملية والدليل المقاوم يقودك أما منزل جده وجدته ومنازل الأجداد والآباء وانما قد أعيد بناؤها بحجارتها دون ان ينقص ولو حجر واحد إنما في الشكل قد تغيرت وفي المتانة والصلابة قد ارتفعت وهذا يقودنا إلى القول أثناء الحج الفريضة عندما نسأل عن بيت النبي ﷺ وزوجته خديجة عليها السلام فإذا هناك بنايات شاهقة تجارية قد حلّت محلها وتلك مثلمة حصلت

في التاريخ الاسلامي، أما المقاومة الاسلامية فقد حافظت على المنازل وعبق أريجها حتى يتناقلها الآباء من الأجداد والأحفاد من الآباء.

«لا بد أن أذكر في هذا السياق دور الأم العاملية خلال أحداث العام ١٩٤٨ في فلسطين والدور الذي قامت به المرتزقة الصهيونية على أرضها من تنكيل وتشريد وقتل وقد لبّى العامليون النجدة فاندفعوا نحو فلسطين ومعهم الشهيد الرمز معروف سعد سمعت احداهن تقول لهم:

هلا يا راحلون لحرب قوم
لئامٌ ضيعوا الوطن الثمينا
خذوني للوغى معكم خذوني
ممرضة لجرحاكم حنونا
فإن لم تفعلوا فخذوا ردائي
به شد الجراح إذا دمينا

***

ولشدة الدهشة وجدت اليوم الأم العاملية تلاقي ولدها الشهيد بالزغاريد وهي تقول: بيضا للّه وجهك يا بني مثلما بيضت وجهي أمام جدي الامام الحسين عليه السلام.

تلك زية إمامية يتوارثها العامليون كابر عن كابر مهما تعددت الأزمان وتكاثرت الخطوب. ولكي يعلم الأعداء وبالخصوص

العدو الصهيوني إن هذه الأرض العاملية مباركة من اللّه عز وجل ما

أغزاها عدو إلاّ وقسم اللّه ظهره ولعن معقبة على ايدي رجال أولى بأس شديد يطيعون اللّه فيما أمرهم ولا يأبهون من خوض غمار الحروب في سبيل اللّه ولا يولون الأدبار وهم في الأخير هم الغالبون.

فقرة اولى: المقاومة ضرورة وطنية.

هل تعرف من هم أصحاب الضمائر الحية؟ الجواب انهم هم المقاومون ولكي تتضح الصورة في الأذهان فأنت وقفت في محل تجاري وامامك آلة المحاسبة ومكدسة فيها الأموال وأشحت بوجهك عنها وذهبت تتسوق من تلك التعاونية، ألست تقاوم الاغراء المادي، كذلك لو شاهدت إمراة تغتسل على ينبوع ماء وهي تدري بأنها آمنة من العيون وذهبت في

سبيلك، ألست تقاوم الحالة النفسية والجنسية المحرمة. وهب أنك في شهر الصيام وصادفت طاولة عامرة بأفخر المأكولات وأطيب الثمار وفي نفسك الطعام والشراب ثم عزفت عنها وقلت يا ربي أني صائم ألست تقاوم وما أكثر الحالات التي يمر بها الانسان وفيها إخلال بالطاعة الإلهية والسمو النفسي والوجداني ويتخطاها بخطى الكرام،الست تقاوم. وإذا اعتدى عليك إنسان ويريد أن يسلبك مالك وحلالك فتصديت له بالمرصاد ألست تقاوم،فكيف إذا جاءك العدو يريد أن يغزوا أرضك ويمرغ أنفك بالتراب ويدوس مقدساتك ويهتك حرمة بيتك فإذا وقفت في وجهه ورفعت السلاح دفاعاً عن الأرض والعرض، ألست تقاوم.

فالمقاومة هي التفريق بين الحق والباطل وهي العمل الصالح في

وجه العمل الطالح وهي الكرامة أمام المذلة فهل تبنى الأوطان بدونها فهي السياج الوطني الضامن والضمير المتحرك في الصدور وهي العنفوان الذي يتأجج في القلوب الطاهرة.

ان من يتحدث عن المقاومة كحالة فردية فهو مخطئ لأنها ان لم تكن حالة جماعية فهي حالة وطنية بإمتياز ترسخ بنيانه وتوحد قواه وترفع من شانه بين الأوطان وتجذر القيم السامية في واقعه الاجتماعي بدلاً من الجعجعية[١] التي يتحفنا فيها في كل الحين ليلبي مطالب أسياده دون أن يخجل له جبين وأن في حليفه الأمين[٢] معالم مشتركة يؤكدها خياراتهم في الاستفادة الشائنة من الوطن والسمسرة على حسابه. وها قد لحقهم في هذا المضمار ابن الشهيد[٣] رفيق الحريري الذي يحمل قميص عثمان في وجه أهل البيت متناسياً طريق الحق المقاوم الذين هم سالكوه والحلف الصهيو- أمريكي الذي يواجهون بكل قوة وعزم واصرار.

فقرة ثانية: المقاومة ضرورة قومية.

ان اتساع افق المقاومة يعطيها المدى الواسع في العمل مع قطاع عريض من الشعوب العربية وقد يمدها بقوى إضافية تبعد عنها الانكفاء والتراجع في موقع ما مما يضطرها إلى الانتقال إلى موقع آخر وفي ذلك فسحة من الأمل في إعادة النبض إلى الشارع العربي.

(١) الجعجعية:نسبة إلى سمير جعجع (قائد القوات اللبنانية).

(٢) الأمينية: نسبة إلى الرئيس أمين الجميل (رئيس الكتائب اللبنانية).

(٣) ابن الشهيد: نسبة إلى الشيخ سعد الدين الحريري.

وعلى سبيل المثال نجد ان المقاومة الفلسطينية عندما حوصرت في المملكة الأردنية في أيلول الأسود حسب الوصف التاريخي لتلك المرحلة من مراحل النصال الفلسطيني انتقلت إلى لبنان فوجدت الحضن الدافئ والساحة التي تنطلق منها إلى مقاومة العدو الصهيوني إلاّ أنها لم تكتسب الخبرة اللازمة في العمل المقاوم على الساحة الأردنية وبالتالي قد أعادت صياغة نفس الأسلوب على الأرض اللبنانية مما جعل في انكفائها وأعادها على السفن البحرية إلى اقطار العروبة الأخرى. إنما هذا لا يلغي دور المقاومة في اختصار الزمن الوحدوي وتحريك ديناميكية المجتمعات العربية للعمل والجهاد في سبيل تحقيق الحقوق الفلسطينية في العودة وحق تقرير المصير واقامة الدولة الفلسطينية على التراب الوطني وعاصمتها القدس الشريف. فإذا كانت القضية الفلسطينية هي النقطة المركزية في النضال العربي فإن هذا الوضع بحاجة إلى تفعيل وامكانيات وتجهيزات لا يمكن لطاقة المقاومة الفلسطينية أن تتحملها لوحدها ولا بد من استراتيجية عربية شاملة حتى تقدم الدعم المالي والسياسي والاقتصادي لجميع فصائل المقاومة حتى تتمتع بالقدرة العالية في مواجهة أشرس وأعتى وأكبر كتلة حربية يختزنها الكيان الصهيوني.

من هنا فإن القدرات والطاقات يجب أن تتوجه وتخدم حالة المقاومة في كل قطر وخصوصاً المقاومة الفلسطينية والمقاومة الاسلامية في كل من لبنان وفلسطين وأن يكون الحس الوجداني عالياً على الصعيد العربي حتى تتظافر الجهود وتتشابك الأيدي لدفع العملية النضالية بتشى الوسائل الممكنة وعلى جميع الصعد الوطنية والاقليمية والدولية

مما يشكل أذرعاً تمتد على كل الجبهات لمحاصرة العدو وارغامه على الاعتراف بالحقوق الفلسطينية.

فقرة ثالثة: المقاومة ضرورة رسالية.

لم يجعل القرآن الكريم الجهاد ومقاومة الظلم من نصيب المؤمنين المعاصرين لكفار قريش بل يعتبر التصدي للظالمين ومقاومة الانحراف وهجوم الأعداء على الأرض والعرض في كل زمان ومكان سببين أساسيين من أسباب الثورات الإلهية وقد وعد اللّه في محكم آياته المؤمنين من المسلمين بالنصر إنما ليس عن طريق المعجزة بل يحثهم ويدفعهم ويثبت أقدامهم إلى القتال ويوبخهم على التقاعس والخذلان. فإذا كان من نصر فإن هذا النصر هو نتيجة للحالات الوجدانية في قلوب المجاهدين ومدى تفتح براعم الرسالة الاسلامية في نفوسهم وعندما تترسخ حالة المقاومة وتتجذر في حالتي الصمود والتصدي فإن المرحلة اللاحقة تكون للحرب وفي توجهات مدروسة وأن عين اللّه ترى وتحرص المجاهدين في سبيل اللّه والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان اللّه على نصرهم لقدير «ومن فضل اللّه على المسلمين المجاهدين أن فرض عليهم مكافحة العصابات الفاسدة وإبادة أعداء اللّه على الأرض، وفي هذه الحالة فإن العزيمة التي يحملها المقاومون بأن مصدرها اللّه سبحانه وتعالى، وهنا نذكر حادثة حصلت مع الإمام علي عليه السلام عندما كان يأكل فإذا رغيف الشعير قاس كفاية مما استدعى من الامام أن يضعه على ركبته كي يكسره بكلتا يده، وهنا ساله أحد الجالسين بقوله:

أيها الداحي باب خيبر الذي عجزت عن فتحه أربع وأربعون وخلعته بيدك وقذفت به نحو السماء واليوم تقوم بكسر الرغيف في ركبتك، أنه لشيء عجاب، فأجابه الإمام عليه السلام أما الأولى فمن قدرة اللّه التي وهبني إياها وما تلك سوى قدرتي؟.

وان القرآن الكريم يدفعنا إلى بلوغ الخير والكمال بالتضحية والإنفاق للمال وأن لا نتلهى بالوسوسة والوقوف أمام أمور بسيطة وسطحية بل لا بد من الصبر ومقارعة المصائب وخوض الحروب دفاعاً عن حياض المسلمين لا طغياناً ولا استيلاءً على الغنائم أو لأي هدف مصلحي أو شخصي أو عدواني حتى ان الإسلام لا يسمح أن تشب الحروب والمعارك بدافع حب الظهور أو الغرور لأن مثل هذا الانحراف ينم عن عدم رسوخ الايمان في نفوس المجاهدين المخلصين وبالتالي يبعث على وهن العزيمة وفتور الحرارة وبذلك لا يتحقق نصر على الاطلاق.

بهذا النهج تأخذ الأمة موقعها الفعلي تحت الشمس وتغيب من جنباتها أدران الفساد وبشع نور الحق في دياجير الظلمة وتأخذ مداها الحيوي على الصعيد العالمي برسالتها السمحاء وتؤدي الدور الذي أراده الباري عز وجل أن يكون لها في العالمين.

الفصل الخامس

الدبلوماسية الدولية
في ظل النظام الدولي الجديد

ان حلم القرية العالمية مستحيل التحقيق في المدى القريب. خصوصاً إذا عرفنا بأن نسبة مئوية بسيطة من سكان العالم البالغ عددهم ستة مليارات نسمة عندهم وسيلة في الدخول على الانترنيت. وإذا أخذنا بالاعتبار أن دول الشمال والنخب من دول الجنوب هي التي تستفيد من وسائل الاتصال الدولي، لهذا فإن معالجة الدبلوماسية المعاصرة للدول العظمى وهي: «الولايات المتحدة الأميركية، المملكة المتحدة، فرنسا، روسيا، الصين، اليابان، فإن التركيز ينص على أشكال الاتصال الفعلية المادية وهي القرارات الاستراتيجية التي يجب اتخاذها ما بين عسكري واقتصادي. ولذلك علينا معرفة الأمور التالية.

١- تقديم منظور جديد للإتصال الدولي والدبلوماسية الحديثة

٢- تحليل الدبلوماسية المعاصرة بالاعتماد على تخاريج أنظمة الدول العظمى.

٣- ان مقولة بأن السياسة الدولية تصنعها الدول الخمس الكبرى ليست من باب التزلف بل بالمعنى الحقيقي للكلمة ولو نسبياً.

٤- ظهور محور جديد في العلاقات الدولية الذي تمثله الدولة الاسلامية الإيرانية واتخاذها موقفاً عقائدياً صلباً في التعاطي مع الأوضاع الدولية بحيث أن معظم الدول ذات النهج الاستقلالي تقف إلى جانبها مما يشكل درعاً ريادياً هاماً في المنظومة الدولية.

وها هو الرئيس الأمريكي يقول:

ان النظام الدولي ليس دولة صغيرة بل هو فكرة كبيرة علينا ان نجعلها تتواجد على الأرض فعلينا الاعتماد على بعضنا البعض لفض المنازعات بالطرق السلمية إذا أمكن وان نتوحد ونتضامن ضد أي عدوان قائم أم محتمل وان نسيطر سيطرة كاملة على الأسلحة في العالم.

من هنا يبدأ النظام العالمي الجديد باعتبار أن الاتحاد السوفياتي قد خرج من دائرة القطب الثنائي والذي كان يشغل بال الدول الغربية بكبت خلافاتها في مواجهة التنين الروسي.

والذي يدعو للدهشة هو في استجابة الرئيس الروسي ميخائيل غورباتشوف إلى رسالة زعيم الأمة الاسلامية الامام الخميني قدس سره.

فكانت البروتسكيا التي اعطت الحريات الدفينة في الاتحاد السوفياتي القديم واتخذت موقفاً لتلك العزلة التي أحاطها بها الغرب الرأسمالي بما يسمى الستار الحديدي.

اما عن القطبية الثنائية فما زالت قائمة وليس بمقدور الولايات

المتحدة أن تنفلت من عقاله خصوصاً أنه قد برز إلى جانب الاتحاد الروسي دول عظمى اخرى وتكتلات اقتصادية كبرى ولم يعد في مقدور الولايات المتحدة الأميركية أن تعمل على أنها في قمة العالم بل عليها أن تصلح نفسها إن تعطي الأهمية لأمورها الداخلية وخاصة الشؤون الاقتصادية وان تعطي الأمم المتحدة الدعم اللازم لكي تستطيع أن تقوم بدورها العالمي.

لقد أثبتت الأحداث الدولية بان القوة الاقتصادية ليست عاملاً آلياً يتحول إلى قوة عسكرية مثال ردود الفعل اليابانية والالمانية التي اختبأت تحت الطاولة أثناء حرب الخليج وكذلك الوحدة الأوروبية كقوة منافسة قد أثبتت فشلها خلال الأزمة العراقية – الكوتية انما الدول الأوروبية تشارك الولايات المتحدة الاستمرار في السيطرة على العالم.

ان الولايات المتحدة الأميركية في الوضع الاقتصادي الذي تمر فيه شرائحها الاجتماعية وما تتحمله في الاتفاق العسكري الذي يحركه اللوبي الصهيوني قد تجاوز٥،٤٪ من دخلها القومي الاجمالي وهذا مؤشر إلى تراجع دورها وأنها لا تستطيع مواصلة الهيمنة وفي هذا السياق يعرف اللوبي الصهيوني الحالة الحرجة في الولايات المتحدة الأميركية فإنه يعمل جاهداً للإستفادة من تلك الحالة لكي يؤمن لإسرائيل الحماية اللازمة باعتبارها قاعدة مسخرة للولايات المتحدة وللغرب عموماً في قلب الوطن العربي وانهم يعتبرونها المفتاح الذي يدخلون به معظم الدول العربية، لذلك فإنهم يعملون جاهدين في مصلحة الأمن الاسرائيلي.

فقرة أولى: الاتجاهات العلمية الواسعة ودور العلماء العرب ان

العلم الإغريقي هو البداية الحقيقية للتقدم العملي وان كل ما سبقه عند الأشوريين والبابليين والمصريين القدماء انما هو خبرات ومهارات مارسها المشتغلون بالعلم في تلك العصور.

وقد ذكر هيرودوت المؤرخ الأغريقي ان أغلب علماء الإغريق كانوا يقضون شطراً من حياتهم على ضفاف النيل وبلاد ما بين النهرين.

وعندما سيطرت الحضارة العلمية الاسلامية مع اتساع رقعة الامبراطورية العربية وكانت بغداد حاضرتها ومنها امتد نور العلم نحو الحواضر العربية في دمشق والقاهرة والقيروان[١] وقرطبة[٢] وعن طريق الاندلس انتقل العلم إلى اوروبا وانشأت الجامعات والمعاهد العلمية في عصر النهضة الأوروبية. في هذا الجو العلمي العارم نشأ عدد من العلماء العرب يزدهي بهم العلم في كل عصر وآن، شاركوا مشاركة فعالة في بناء النهضة العلمية وخطوا بالانسانية خطوات فسيحة في سبيل الرقي والتقدم.

نستطيع أن نعد منهم عشرات بل مئات يمكن أن يقرنوا إلى علماء العصر الحاضر.

ومنهم في وضع مع جاليلو[٣] وباكون[٤] ونيوتن[٥] وديكارت[٦]

(١) القيروان: مدينة في تونس، بلغت أوج عزها على أيام الملوك الأغالبة.
(٢) قرطبة: أحد الحواضر الاسلامية العربية في الأندلس.
(٣) جاليلو: مكتشف دوران الأرض.
(٤) باكون: «روبر» راهب ومن كبار علماء القرون الوسطى.
(٥) نيوتن: يعود له اكتشاف ناموس الجاذبية العامة.
(٦) ديكارت: فيلسوف فرنسي «أنا أفكر إذاً أنا موجود».

في كفة ومنهم من يرجح هؤلاء جميعاً وقد قيل يحق انه لولا أعمال ابن الهيثم[١] والبيروني[٢] وابن سينا[٣] والخوارزمي[٤] والكندي[٥] والبرزجاي[٦] والطوسي[٧] وغيرهم لاضطر علماء النهضة الأوروبية أن يبدؤا من حيث بدأ هؤلاء ولتأخر سير المدنية عدة قرون.

ويعترف المنصفون من المستشرقين بان الرومان لم يحسنوا القيام على التراث الاغريقي وان العرب كانوا على خلاف ذلك فقد حفظوه واتقنوه ولم يقفوا عند هذا الحد بل نعدوه إلى ترقية ما اخذوه وتطبيقه باذلين الجهد في إنمائه حتى سلموه للعصر الحديث. ويقول بعضهم: «لا نبالغ إذا قلنا أن اوروبا مدينة للعرب بخدمتهم العلمية تلك الخدمة التي كانت العامل الأكبر في النهضة العلمية الأوروبية، لقد كانت الحضارة العلمية الاسلامية بمثابة حلقة الاتصال بين الحضارة الاغريقية والحضارة الحديثة.

وخلاصة القول أن العلماء العرب قد قاموا بواجبهم خير قيام فأدوا للنهضة العلمية أعظم الخدمات وفادوا الإنسانية في مدارج الرقي والتقدم ورعوا أمانة العلم وحفظوا التراث العلمي وعملوا على إنمائه وزيادته وأنهم كما يقال» أساتذة أهل أوروبا».

(١) ابن الهيثم: من علماء الطبيعة وتصديه لعلم الضوء في خط مستقيم.
(٢) البيروني: الدراسات الهندسية والفلية.
(٣) ابن سينا: يحتار الباحثون في تصنيفه بين طبيب وفيلسوف.
(٤) الخوارزمي: محمد بن موسى: أحد منجمي المأمون.
(٥) الكندي: فيلسوف العرب وحجة في علم الفلك.
(٦) البرزجاي: خطيب الحرم النبوي.
(٧) الطوسي: شيخ الطائفة الشيعية.

ما أشد حرصي على أن تعمل الأمانة العامة للجامعة العربية على نفس هذا التراث العلمي العربي العظيم، تنشره محققاً وملخصاً ومخلصاً حتى يعلم الشباب من امة العرب مكانة أمتهم في التاريخ.

فقرة ثانية: الاتجاهات الاقتصادية العالمية وانعكاساتها على الاقتصاد العربي.

تلعب اعتبارات الأمن الوطني والاقتصادي والسياحة الخارجية والمصلحة دوراً هاماً في تشكيل سياسة كل دولة في ميدان التجارة الدولية فقد تقتضي مستلزمات الدفاع عن البلاد أو الحفاظ على أمنها الاقتصادي في عالم يكاد ولا يبرأ من التوتر الدولي أن تتوافر الدولة على إنتاج بعض أنواع السلع التي تستطيع شراؤها من الخارج بتكاليف أقل من نفقة إنتاجها في الداخل خشية أن يجتمع من الظروف ما يؤدي إلى انقطاع ورودها اليها بالاضافة إلى اعتبارات حماية السوق المحلية وتشجيع الصناعات الوطنية.

من هنا تتميز المعاملات الاقتصادية الدولية بقيام عوائق قانونية تعترض انسياب السلع والخدمات ورؤوس الأموال من دولة إلى أخرى كالرسوم الجمركية وتراخيص الاستيراد والرقابة على الصرف تعكس الحال في النطاق الداخلي حيث لا تخضع المعاملات بين منطقة وأخرى لمثل هذه العوائق.

من هنا كان مبدأ التخصص الذي يرجع إلى عوامل جغرافية وطبيعية وفنية فمثلاً فإن مصر تهيئ العوامل الملائمة لزراعة الأقطان الممتازة وفي اليمن حيث الطقس الحار وغزير الأمطار تتهيأ الظروف

لزراعة البن، اما التخصص في صناعات معينة فالصناعات الكيماوية والسيارات فإنها تحتاج إلى توفر مقادير ضخمة من أموال الإنتاج.

ان القوة العاملة ذات الخيرة الفنية والتدريب أو العدد قد تتجه إلى التخصص في انتاج صناعات معينة أو زراعة محاصيل معينة إلاّ أنها هذا التخصص ليس ثابتاً فقد تتغير الظروف والعوامل مما يستدعي معها الانتقال إلى صناعات أخرى أو إنتاج محاصيل أخرى. والذي يؤخذ بالحسبان هي النفقات النسبية بين بلد وآخر وان في اختلافها يستلزم قيام عملية التبادل السلعي والتجاري مما يؤدي إلى قيام ميزان المدفوعات الذي يترتب عليه حوالات مصرفية أو كمبيالات تجارية أو اعتماد مصرفية. هذه المعاملات الاقتصادية الدولية فإن أهميتها في التأثير على الأوضاع الاقتصادية الداخلية، فإذا بقيت عناصر الانفاق على حالها مما يؤدي إلى عجز ميزان المدفوعات وبالتالي إلى انخفاض مستوى التشغيل والدخل والانتاج أما إذا بلغ الاقتصاد مرحلة التشغيل الكامل لموارده الانتاجية بذلك تأتي الزيادة في الدخل القومي مصحوبة بارتفاع الأسعار.

فهل تقوم البلدان العربية باعتماد تلك الحالات التخصصية فيما بينها أولاً لتنتقل بعد ذلك إلى السوق العالمية في التبادل التجاري مع بقية بلدان العالم.

اما اذا انكفأت كل دولة تقوّم اقتصادها باستقلالية عن بقية البلدان العربية وان يبقى تشغيلها لقطاعاتها الانتاجية جزئياً فإن كل دولة من الدول العربية ستكون معرضة لحالة من الانكماش الاقتصادي

وانخفاض في الدخل القومي الذي يجعل

منها دولة مدينة ولا يمكنها أن توفي التزاماتها الاقتصادية حتى انها تفتقر على الصعيد المحلي أن تلبي حاجاتها المجتمع والسيولة المالية اللازمة لميزانية الدولة السنوية بالسداد والصرف والمعاملات على جميع قطاعات الدولة وفي حال تزايد العجز فإن تراكمية الديون ستؤدي حتماً إلى حمل ثقيل قد تعجز الدولة عن القيام به أمام المواطنين وهذا الذي يؤدي إلى بيع الأصول للدولة بحيث تصبح الدولة الحارسة إلاّ إذا قامت بتلزيم المرافق الأمنية حتى الدفاعية!.

من المؤكد ان قيام السوق العربية الموحدة هي المنهج الصحيح لترتيب أوضاع الدول العربية وإنماء الحالة الاقتصادية في كل منها بحيث تستطيع أن تقف في وجه الشركات عابرة القارات والتي لا تستطيع أية دولة عربية أن تقف في وجه هذه الشركات العملاقة بالاضافة إلى العلمانية التي تقرع أبواب جميع الدول إذا لم تتحصن كل دولة بما يجعلها في موقف ثابت لا يمكن للرياح العاتية أن تحركها.

اما فلسطين المحتلة والتي يحاصرها الغرب فإنها لا تملك نفطاً تساوم عليه بل عندها هذا الرصيد من الدماء والمقاومة الذي تواجه به الصهيونية ومما لا شك فيه بأن هناك شركاء كثرة في العالم لا تحتلهم ثقافة الصهيونية ولا ثقافة الاستبداد سيقفون في صفها لأن زمن الشعوب آتٍ بالرغم من كل التناقضات ونقاط الضعف فيه.

فقرة ثالثة: الاتجاهات السياسية الدولية.

اذا كان القول بان الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن

من الأمم المتحدة هي التي تضع السياسات الدولية بموجب حق الفيتو الذي تملكه في قرارات مجلس الأمن وما علينا سوى أن نطلع على القرارات التي يتخذها مراكز النفوذ في كل دولة من هذه الدول لنعلم في أي اتجاه نأخذ العالم بأكمله.

وعلى سبيل المثال للحصر فإن:

القرارات الأميركية للعام ١٩٩٠ فإن هناك سبعة قرارات منها أربع قرارات اقتصادية وثلاثة عسكرية.

اما في ١٩٩١ فهناك ستة قرارات منها ثلاثة اقتصادية وثلاثة عسكرية.

اما في ١٩٩٢ فهناك عشرة قرارات فهناك خمسة قرارات عسكرية وخمسة اقتصادية.

اما في ١٩٩٣ فهناك ثمانية قرارات منها سبعة عسكرية وقرار واحد اقتصادي.

اما في العام ١٩٩٤ فهناك اثنا عشر قراراً فهناك ستة اقتصادية وستة عسكرية.

اما في العام١٩٩٥ فهناك اربعة عشر قراراً منها ستة عسكرية وثمانية اقتصادية.

اما في العام ١٩٩٦ فهناك ثمانية قرارات منها ستة عسكرية واثنان اقتصاديان.

واذا اخذنا القرارات البريطانية. فإننا نجد بانها قد اتخذت في العام ١٩٩١ قراران عسكريان في الشرق الأوسط.

وفي العام ١٩٩٢ قراراً واحداً عسكرياً في الشرق الأوسط أيضاً.

اما في العام ١٩٩٤ فقراراً واحداً عسكرياً في البوسنة.

وفي العام ١٩٩٦ فقراراً واحداً عسكرياً مع ايرلندا الشمالية.

اما القرارات الفرنسية فهي:

في العام ١٩٩١ فهناك ثلاثة قرارات عسكرية في الشرق الأوسط.

اما في العام ١٩٩٢ فهناك ثلاثة قرارات عسكرية منها قراراً واحداً في الشرق الأوسط.

اما في العام ١٩٩٥ فهناك قراران عسكريان.

اما في العام ١٩٩٦ فهناك اربعة قرارات منها اثنان عسكريان واثنان اقتصاديان منها واحد منهما شرق اوسطي.

اما القرارات الروسية فهي:

في العام ١٩٩٠ أربعة قرارات عسكرية منها واحد شرق أوسطي.

وفي العام ١٩٩١ ستة قرارات عسكرية.

وفي العام ١٩٩٣ قراران عسكريان.

وفي العام ١٩٩٤ ثلاثة قرارات عسكرية.

وفي العام ١٩٩٥ فهناك أربعة عسكرية منها واحد شرق أوسطي وواحد امني.

ولو اخذنا القرارات الصينية.

نجد انه في العام ١٩٩١ قراراً واحداً عسكرياً.

وفي العام ١٩٩٢ ثلاثة قرارات منها اثنان عسكرياً وواحد اقتصادي.

وفي العام١٩٩٣ قراراً واحداً عسكرياً.

وفي العام ١٩٩٥ ثلاثة قرارات منها اثنان عسكريان وواحد اقتصادي.

وفي العام ١٩٩٦ اربعة قرارات منها واحد اقتصادي وثلاثة عسكرياً ومن الثلاثة واحد عسكري شرق أوسطي.

أما القرارات اليابانية.

ففي العام ١٩٩٤ قراراً واحداً عسكرياً.

وفي العام١٩٩٥ قراراً واحداً اقتصادياً.

وفي العام ١٩٩٦ ثلاثة قرارات عسكرية.

من هنا نعلم الاتجاه العام في تلك القرارات التي بأكثريتها الساحقة عسكرية مما يعني ان الشغل الشاغل لتلك الدول هي المهمات العسكرية والعمل على اخضاع بقية الدول لسيطرتها العسكرية.

فالسمات العامة للسلوك الأمريكي في تلك القرارات باستخدام القوة العسكرية كأداة لتنفيذها وإن تراوحت نسبة شدتها بين:

١- التدخل العسكري الملاحظ كمياً مثل التدخل في العراق والصومال ويشمل هذا التدخل معظم قارات العالم.

٢- التدخل ضد الدول النامية لمنعها من الحصول على الأسلحة (غير التقليدية) اللازمة للدفاع عن نفسها وهذا يشمل الخطر على كل من العراق وليبيا وسوريا والضغط على الصين لمنعها من تزيد ايران

بالمفاعل النووي ومحاصرتها اقتصادياً وسياسياً حتى لا تتمكن من الولوج الى عصر الذرة السلمي.

٣- استخدام المقاطعة الاقتصادية والسياسية والعسكرية ضد الدول التي لم تجد نفعاً أنواع الدبلوماسية

السابقة وكما يلاحظ من خلال تلك القرارات للدول العظمى ان هناك شبه ارتباطية بين ما تقدم به الولايات المتحدة الأميركية وما تقوم به الدول على الساحة الدولية ومنها العدوان الأمريكي على العراق والتدخل في الخليج وفرض الحصار على الدول العربية وغير العربية ومنها العراق وليبيا وسوريا والسودان وإيران.

ورغم ذلك فإن هناك دولاً محدودة العدد تحاول أن تنتهج سياسة خارجية محددة وغير متأثرة بالضغط الأمريكي مثل فرنسا التي قامت برفض القرارات الأمريكية لمقاطعة إيران للعام ١٩٩٦ وتحاول أن تمارس دوراً مهماً في حل الصراع العربي الاسرائيلي ي تلك المرحلة، بينما نجد بريطانيا تتخذ سياسة متوازية للسياسة الخارجية الأمريكية بينما تميل معظم الدول الكبرى إلى الإنعزالية.

أما الصين فقد اتبعت سياسة متوازنة ما بين الإنعزالية والعالمية إذ تحاول أن تركز على الإنفتاح الإقتصادي. أما روسيا فإنها منشغلة بأمورها الداخلية في مجال الإتحاد السوفياتي السابق الذي ما زالت بعض رموزه تحلم به ودول الجوار الجغرافي والشبكات الإرهابية التي تزرعها المخابرات الأميركية في داخل الإتحاد الروسي.

من هنا نكتشف بأن الولايات المتحدة الأميركية أكثر نشاطاً في

الساحة الدولية كماً ونوعاً وتأثيراً وتعتمد معظم القرارات في تنفيذها على استخدام القوة أو التهديد باستخدامها بمختلف مناطق العالم. إن من أهم أهداف السياسة الخارجية الأمريكية هو تحقيق أمن إقليمي لإسرائيل الذي يهدد الأمن القومي العربي وهذه ليست فكرة جديدة في منظور الدول العظمى التي طالما سعت الى تحقيق هذا الهدف في منطقة الشرق الأوسط وخاصة مع نهاية الحرب العالمية الثانية والدور الأمريكي البارز في كل من تركيا وإيران وحلف بغداد وفرض الهيمنة الإقتصادية الإسرائيلية على المنطقة في ضوء التباين الكمي والكيفي بين اقتصاد إسرائيل واقتصاديات الدول المجاورة وفي ضوء التهديد الإسرائيلي لدول الجوار العربي خاصة في أفريقيا.

ومن المهم ذكره أن كثيراً من الدول العربية قامت بالدور المطلوب التي تتطلبه الشرق أوسطية في خدمة إسرائيل دون أن تقدم إسرائيل أي شيء بالمقابل مع الفلسطينيين وأن ما نشهده في الدولة العربية السورية من أحداث دامية وعلى أيدي

عصابات مأجورة من هنا وهناك وتقديم السلاح والمال هو الدليل القاطع على الحماس الحكومي العربي لفكرة الشرق اوسطية في ظل الدبلوماسية الأمريكية والنظام الأمريكي للمنطقة الذي في رأس أولوياته الحفاظ على الكيان الإسرائيلي وتحقيق أمنه وسيطرته على المنطقة بكاملها. وإن الأعمال الإجرامية وما يحيط بها من خطط مدروسة بإنشاء مجالس عملية تأتمر بأوامرها وتشير حسب رغباتها الهدف من ذلك كله الا لتطويع النظام وإخراجه من دائرة الممانعة والمقاومة التي قد اشتد دورها وفعاليتها في المجتمعات العربية يوماً

بعد يوم مما يؤشر في نهاية الكيان المصطنعة والكيان الغاصب للعدو الصهيوني على أرض فلسطين السليبة.

إن دخول العديد من الدول العربية في معاهدات أو علاقات سلمية مع إسرائيل كما عقدت الاتفاقات التجارية والاقتصادية معها وتمت اقامة علاقات دبلوماسية ومنها معاهدة وادي عربة مع الأردن ومعاهدة كمب ديفيد مع مصر وإن هناك مستويات مختلفة من العلاقات بين اسرائيل من جهة والدول العربية ودول الجوار العربي من جهة أخرى وإن في سلوك بعض الدول العربية من الأحداث المؤلمة في سوريا يؤكد

انخراطها الكامل في عملية الشرق الأوسط الجديد الذي دعى إليه شمعون بيريز في كتابه: الشرق الأوسط الجديد.

إن الدبلوماسية الأمريكية في المنطقة العربية تعمل جاهدة على أن تكون إسرائيل هي الدولة التي تستطيع الإعتماد عليها في المنطقة وإنها قاعدة سخرة من أجلها ورؤى الولايات المتحدة الأمريكية تعتبران إسرائيل هي المفتاح فهي لن تتراجع عن عمل أي شيء يساهم ويدعم في مصلحة الأمن الإسرائيلي وتفوقه في المنطقة العربية.

الفصل السادس

الصراع في الوطن العربي

ان الدول العربية الاثنان والعشرون من جامعة الدول العربية تعيش كل واحدة منها أزمة في ذاتها وأزمة من حولها، فالاستعمار الذي افرز لها حيزاً على الأرض العربية قد جعل منها واقعاً مشوهاً وكسيحاً لا يستطيع ان يتحرك وان يقوم بدوره الحياتي بعيداً عن السيطرة الفعلية للأجنبي سواء كان ذلك بصورة مباشرة أم غير مباشرة، لأن الوضع الاقتصادي في كل بلد ومنها من ينعم بالرخاء الاقتصادي لوفرة موارده الانتاجية وبالخصوص البترول أما أنه في حالة تبعية عمياء للأهواء الخارجية حتى يعطي الدواء.

إلا أن الوضع الاقتصادي لمعظم الدول العربية في حالة تخلف وعجز دائم باعتبار أن الفضاء الاقتصادي الذي ينمي قدراته الفعلية لا يفي بمتطلبات المرحلة ولا يستجيب للضرورات التي تفرضها أيضاً المرحلة بل على العكس تماماً فإنه دائماً في حالة النوم السرسري وهو بحاجة إلى المصل الحقيقي وان يبقى دائماً في غرفة العناية الفائقة. والأمور تزداد سوءاً سنة بعد سنة وهناك في داخله قيادات سياسية تأتمر بالأوامر الخارجية وتستفيد من تلك العلاقة بالتقديمات المالية بحيث تبقى هي في

حالة بحبوحة وعلى أبناء المجتمع ان يعالجوا مشاكلهم بصورة إفرادية.

هذا النمط من العلاقات القائمة في كل قطر وحاكموه ليسوا من البلاهة بحيث لا يعرفون أوضاعهم وتركتهم الثقيلة بل انهم يكيدون بأوجههم شطر مصالحهم وأعمالهم طالما أنها تسير على ما يرام وتلبي رغباتهم الشخصية والاستزلامية التي تحيط بهم ففي هذه الحال تكون النعمة وافرة والحياة مسرة.

ان الواقع الذي تعيش فيه الدويلات العربية مسلوبة الارادة لأنها لا تعرف ما تريد إذا أرادت فإن صوتها في وادي سحيق يتبختر على أرضها أصحاب المنافع وتدار بذهنية الحصص والمنافع. هذا الوضع خلق هيكلية بشرية مستفيدة دائمة تحارب من اجل البقاء على هذا الحال فما دام الاعوجاج يؤمن لي المصلحة والربح والمال فلا يهمني بقاؤه بل اعمل جاهداً على حمايته.

ان قيادات الأمة في وادي وضرورات الأنظمة في وادي آخر حتى ولو كانت هذه الضرورات غير حقيقية ولا مقدسة فلا يمكن المساس بها او الخروج عليه اوان السكوت عليها من باب دفع الشرور والفتن في المجتمع وليس أدل على ذلك من المجموعات التي حملت السلاح في وجه المنتفضين في كل من تونس ومصر باعتبار أن انتفاضتهم كانت سلمية مئة بالمئة ولا يستطيع أي مخلوق أن يقول عكس ذلك.

ان خيارات الأمة التي كانت الدافع للإستقلال الوطني قد ابتعدت كثيراً عن أذهان الناس بفعل البرامج والثقافة التي اتخذت مساراً فعلياً في حياة الناس ولها أربابها وزبانيتها والمطبلين والمزمرين لها وان

كنت تقول لهم انكم تلحسون العسل ولكنكم ستسقطون في البئر فلا يبالون تلك النصيحة بل يتضاحكون منك وعليك وينعتونك بالغباء لأنك لم تأخذ نفسك المسار والتوجه والعمل الذي يقومون به بكل جدارة وبهجة.

لقد نسوا أو تناسوا ان هذه الأعضاء المتفرقة لا يمكن أن تستمر في ذلك النهج المبرمج، لأن الشدائد عندما تقوم لا ترحم والنار اذا اشتعلت لتأخذ في طريقها الأخضر والبائس معاً.فإذا كانت التجزئة والتربية المضادة لخيارات الأمة فهل

يحق لنا أن نسلك طريق العنف لتحقيق خيارات الأمة أم أن البديل هو الهدنة مع ابناء بلدتنا لما تسمح به هذه الهدنة من حوار بناء هادئ يعيد الحيوية إلى المجتمع والحياة إلى مشروع الأمة أما إذا اخترنا طريق العنف والصراع مع الأنظمة فسيكون المستفيد من ذلك المشروع الصهيوني باعتبار أن العقل الاستعماري الذي أوجد الكيان الصهيوني يسعى لتحقيق هدف من اثنين:

اما أن تصبح اسرائيل جزءاً وعضواً فاعلاً من خلال تطبيع العلاقات معها واما ان تثار النزاعات الداخلية وفي كلا الحالين تكون الطليعة العربية الاسلامية هي الخاسرة.

فقرة اولى: الصراع في الأقطار المواجهة للعدو الصهيوني.

ان القوى الحية في هذه المجتمعات ملزمة بالعمل على عدة جبهات وأولى هذه الجبهات الجبهة مع العدو الصهيوني لأنه يعتبر المحرك

الأساسي والداعم الأساسي مع حلفائه للقوى التي تتوأم معه شكلاً ومضموناً، كأنه لا يقبل أن يكون إحدى الولايات العربية المتحدة وقد أعلن هويته اليهودية بشكل عنصري ويعتبر العرب الذين معه في كيانه عالة عليه ويسعى جاهداً للتخلص منهم وفي هذه الحال يتوافق ذلك في بعض الكيانات العربية التي ترى في الولايات المتحدة العربية مشاركة في فائضها المالي والنعم التي تعيش فيها وما يقدم لحكامها من التبجيل والهيبة ما قد ترى فيهم الأبهة والسلطنة التي لا حدود لها على المسرح السياسي الإقليمي حتى الدولي.

فكيف يتم إلحاقه هو يرى ان الجامعة العربية الثقافية قد تحجز عليه في بعض القرارات وان لم يوافق عليها فكيف إذا كان في النصوص القانونية لدولة اتحادية.

اننا نجد في دول التوق بل دول المواجهة والصمود بعض النجاحات في خياراتها الوطنية والاسلامية وان كان بعضها قد قام بمعاهدات مشؤمة مع العدو الصهيوني، إلاّ أن الحالة الوطنية ما زالت سليمة وتأخذ مجراها الطبيعي في الحياة العامة وقد نجحت الحركة الاسلامية في لبنان في الحفاظ على وحدة لبنان أرضاً وشعباً ومؤسسات وقضت كثيراً على المكاسب الطائفية السياسية وان معظم التيارات قد انسجمت مع الحركة وأخلت لها الساحة بطريقة عفوية انسجاماً في المجال أمامها كيما تحقق فريداً من الانتصارات على العدو في الداخل والخارج.

فقرة ثانية: الصراع في بقية الأقطار العربية.

ان الأقطار العربية يجب علينا أن نطلق عليها تسمية الخلفية الفعلية

لأقطار المواجهة، لأن كل من بلدان المواجهة يجب ان تكون له خلفية تحميه وتسانده وتقدم له العون إذا احتاج إلى ذلك بهذه الحالة تكون البلدان العربية كتلة واحدة في المواجهة في حالة الصراع الفعلي معه. أما إذا كانت تلك الدول همومها تختلف اختلافاً جذرياً مع تطلعات دول المواجهة فإن الحال يكون عكس المطلوب. فما العمل؟.

جاء في الأمثال أن» الثور الأبيض أكل عندما أكل الثور الأسود» لأنه لو كان الثوران معاً لما استحكم الأسد على الأول وتفرد به، أفلا يحق لنا أن نقول وبالفم الملآن أنه علينا جميعاً الالتزام في خط المواجهة وان العمل من تحت الطاولة قد يعكر الأجواء ويجلب الشرور لنا جميعاً.

ان أجواء الألفة والمودة بين البلدان العربية يجب ان تكون من العناوين الرئيسية في حياتهم الخاصة والعامة، وان تكديس الأموال في البنوك الأجنبية سيف ذو حدين أما أن تقطع به أو أن يقطعك وفي كلا الحالين مضرة، وما أشرف أن يقوم أصحاب الأموال المدخرة في استثمارها على مساحة الوطن العربي لأنه لا يمكن أن يطعن المسلم أخاه المسلم إلاّ إذا كان إسلامه رياء وكذباً ونفاقاً، هذا على الصعيد الفردي أما على الصعيد العام فإننا نقرأ الحالة الإصلاحية بكل أبعادها ونجد أنه لا يمكننا أن نبتعد عن بعضنا البعض لأنه في الاتحاد قوة.

فقرة ثالثة: الأهداف والغايات.

ان المشكلة التي تعاني منها البلدان العربية لم تكن في شعوبها التي تجد في الإسلام لغتها اليومية وأصواتها المرتفعة وهي ترى في

ان الإسلام والعروبة مثلهما كمثل الروح والجسد فلا يمكن أن يعيش الجسد بلا روح، فلو تجمعت أطراف الجسد الممزق على مأرب وموائد الحكام المثقفين بثقافة الغرب وقد عادوا من أوروبا ليروا ما هي عليه الأمة من نقص في داخلها وفي فقدان لرصيدها الخارجي فقام المثقفون المتغربين بنقل القوانين الطبيعية إلى الساحة العربية بقضّها وقضيضها دون ان يشغل نفسه بعملية الانتقاد وما يناسب وما لا يناسب فأخذنا بشعاراتها من دون أن تنال شيئاً منها فبعثوا في روح الأمة الهزيمة والتواكل واستطاعوا تغييب العقيدة الدينية عن حياة الناس ولم يبقى منها إلاّ ما يتعلق بالزي والشكل والمظاهر الخارجية.

من هنا نجد أنفسنا مضطرين لتشكيل حركات وهيئات لنواجه مشاريع الغرب سواء في معاهدة سايكس - بيكو أم في وعد بلفور، فالأولى كانت مقدمة لحصول الأخرى، وعلينا أن نتمسك بعقيدتنا الإسلامية التي هي الركن الأساسي بل سلسلة الظهر للجسم العربي لكي يقف على رجليه أمام الرياح العاتية وتعيد بعث العقيدة الدينية في حياة الشعوب العربية من جديد بعد ان غيبتها الكثير الكثير من التراكمات الغربية والهامشية حتى تستطيع أن نخرج من دائرة التبعية والتقليد الأعمى للغرب الذي أن التقينا معه في ناحية من النواحي فإن كل نواحي الحياة تخرج من هذا اللقاء.

ان العمل العربي الإسلامي ليس مطلوباً منه أن يعترف بشرعية النظام في اية دولة من الدول العربية أو أن ندخل صراع معه لا يخدم مشروع الأمة على الرغم من أن لنا كامل الحق في أن ندافع عن أنفسنا

ضد القمع الذي نتعرض له في حياتنا الخاصة والعامة، وعلينا ان يكون مشروع الأمة هو الذي يمثل جميع حركاتنا وسكناتنا حتى تكون في خدمة هذا المشروع ومحققة له بالوسائل التي تحفظ النظام العام ووحدة الأمة وتماسك المجتمع.

الفصل السابع

حتمية وديمومة وعمومية المقاومة

المتتبع للحروب التي وقعت في هذه البقعة من الأرض اللبنانية أو الذي عايش هذه الأوضاع يدرك حجم الخطورة من ذاك العدو الصهيوني المتمترس على الحدود اللبنانية. ويدرك مواقف العز والبطولة التي وقفها المجاهدون في الدفاع والمواجهة مع هذا العدو والذي يملك أكبر ترسانة عسكرية في الشرق الأوسط ويجد أن تلاحم الشعب والمقاومة يسلط الضوء على الحالة الجهادية التي يترسخ بنيانها أكثر وأكثر مع مرور الزمن، فالمقاومة في الوقت الحاضر ليست كما كانت في بداياتها وامتداداتها، فكانت ساحتها منطقة العرقوب حسب اتفاق القاهرة في العام ١٩٦٩ إلاّ انها قد تجاوزت تلك المنطقة من حيث المساحة الجغرافية إلاّ أن العمليات الجهادية كانت شبه مناوشات مع الجند الصهيوني وقلة العمليات الداخلية، وبقي الحال على هذا المنوال من قذيفة مدفعية من قلعة الشقيف غير محددة الهدف والمكان ولتسقط في أي مكان مقابل والكثير الكثير منها قد سقط في مرجعيون أو في كفركلا. وهناك نادرة يتناقلها الأهالي بالقول بأن احد الجنود قد اصاب ذاك المدفع فصفق له رفاقه فقام الضابط بتوبيخه

قائلاً:» ان هذا المدفع الذي يقصف هو الذي يجعلنا ندخل إلى عمق الكيان اللبناني وانت قد اسكته بفعلتك هذه.

لم يعجب القوى السياسية في الحركة الوطنية ومجالسها السياسية هذا الوضع انما كانوا مجبرين على تحمله باعتبار أن حركة التحرير الفلسطيني «فتح» هي التي تمول المجالس السياسية والإنفاق العام. وكان الاتجاه في تحريك الشارع الشعبي من اجل تغيير هذا النمط الجهادي.

الا أن الجيش الاسرائيلي لم يترك الوضع بل قام بالزحف في اتجاه الجنوب متخطياً نهر الليطاني ثم نهر الأولي في صيدا متجهاً نحو بيروت العاصمة بعدته الضخمة من الآليات العسكرية وعديده من الجنود ولن نغفل عن المواجهة البطولية عند مثلث خلدة لمدخل بيروت فقد تظافرت قوى المقاومة في الاستماتة لوقف الزحف وتكبيد العدو الخسائر وقد اشتبك الغزاة مع الجيش السوري المرابط في نقاط من الجبل اللبناني قد أكد عنفها وضراوتها المحللون الإسرائيليون. في هذه الأثناء ظهرت المقاومة الإسلامية إلى جانب أفواج المقاومة اللبنانية (أمل) وقد انضم إليهم جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية من الأحزاب اللبنانية وابتدأت العمليات الجهادية من جميع الأطراف إلاّ أن المقاومة الإسلامية المتسلحة بالعقيدة الإسلامية اتخذت خطاً نضالياً من البقاع بعمليات مكثفة وفاعلة وأخذت العمليات تتطور من مرحلة فردية إلى عمليات نوعية استشهادية فكان الشهيد أحمد قصير فاتح عهد العمليات الاستشهادية ثم تبعه الشهيد علي صفي الدين وكانت عملية المارينز وانسحاب المتعددة الجنسيات. وكان الانسحاب

الإسرائيلي في العام ١٩٨٥ من البقاع وصور والنبطية إلاّ أن العمليات الجهادية والاستشهادية قد تكاثرت بحيث أرعبت الإسرائيليين وكانوا يتساءلون كيف يصل هؤلاء إلى قمة التلة والميركافا لتي تلتقط تحت الخط الأحمر كل ما يتحرك بارتفاع أربعين سم فلم نجدهم إلاّ وقد وقفوا أمامنا بضربات «اللّه أكبر» وكأن الموقع لم يكن ولم تكن تلك هي الحالة التي نواجهها على أرض الجنوب العاملي.

وما أحسن ما قاله الشاعر نزار قباني في قصيدته بمدح إمام المقاومة الإمام «موسى الصدر» وهذه مقدمتها.

سميتك الجنوب

يا لابساً عباءة الحسين عليه السلام

وشمس كربلاء

يا شجر الورد الذي يحترف الفداء

يا ثورة الأرض التقت بثورة السماء

فقرة اولى: احياء التراث الوجداني والجهادي.

ان المقاومة التي ولدت من رحم المعاناة من تأصيل العقيدة الإسلامية في النفوس العاملية كانت وستبقى علامة من علامات الجهاد العاملي الذي لعب دوراً مشرقياً هادفاً إلى التحرير الكامل وبناء الدولة العربية. وهذه الحالة كرّسها العامليون في شتى الميادين التي خاصوا فيها العمل العام مع إخوانهم من ابناء هذه المنطقة.

فالمقاومة ليست حالة طارئة في هذه المنطقة من لبنان بل اتخذت مسارات عديدة منذ العهدين العثماني والانتدابي وكانت لها مواقف مشرّفة في طرد المحتلين أم في وأد الفتن التي يحركها المحتلون ومن الأمثلة على ذلك مؤتمر وادي الحجير الذي دعى اليه وجهاء وقادة وعمائم منهم رؤساء العصائب أدهم خنجر وصادق حمزة وكان السيد عبد الحسين شرف الدين على رأس العلماء الحاضرين حيث أن سلطات الانتداب كانت قد وزعت الأسلحة على القوى المسيحية وحرضتهم على الوقوف في وجه عدوهم الجاثم على صدورهم فكان للسيد عبد الحسين شرف الدين في المؤتمر خطاباً تاريخياً قال فيه: «أيها الفرسان المناجيد، ان لهذا المؤتمر ما بعده، وسيطبق نبؤة الآفاق السورية ويتجاوب صداه في الأقطار العربية ويتجاوزها إلى عصبة الأمم وقد امتدت به إليكم الأعناق وشخصت الأبصار، فانظروا ما انتم فاعلون».

وكان وادي الحجير قد سمع صدى خطابه وبات محفوظاً في جزئيات الهواء ليعطي المقاومين الذين رصدوا دبابات العدو الصهيوني وقد دخلت الوادي وقد دمرت الأولى والأخيرة بقذائفهم الصاروخية وبات الرتل بأجمعه تحت نيران مدفعيتهم فكانت هذه الملحمة لها صدى عظيم في الآفاق السورية وفي الأقطار العربية وقد تجاوزتها إلى هيئة الأمم المتحدة.

فما بين مؤتمر الحجير الفيصل في كتابة التاريخ الانساني والتعايش الروحي بين الديانات ليس في لبنان فحسب بل في جميع الأقطار العربية وتلك العملية البطولية للمقاومة قد أعطت الدرس الناصع

للشعوب العربية حتى تستيقظ من سباتها وتأخذ موقعها الرسالي مع النبي الخاتم محمدﷺ الذي شهدت بعثته المباركة وسنوات عمره المعطاءة القصيرة انعطافاً رهيباً وتحولاً كبيراً في حياة البشرية عقيب قيام الدعوة السماوية في أرض الجزيرة المسترخية على رمال الوهم والخداع وسيل الدم المتدافع وإعطاء الصورة الحقيقية لغاية خلقْ الإنسان ودوره في بناء الحياة.

فقرة ثانية: القاعدة العامة: كل «مواطن مسؤول» «غفير» «مقاوم».

من خلال هذه الصورة المتكاملة للمقاومة التي استوى عودها على أرض الجنوب اللبناني واتخذت موقعاً متميزاً تحت الشمس وقد أصبحت منارة المناضلين ليس في المحيط العربي فحسب بل في جميع أنحاء العالم، هذه المقاومة قد جسدت في شخص كل إنسان معاني الحق والبطولة ورفعت النفوس إلى مستوى العزة والكرامة وأعطت للعقل البشري دوره التاريخي في معالجة الأحداث القائمة والتي ستأتي لأنها قد حركت كوامن النفس ومنطلقاتها الإنسانية عند جميع الناس في لبنان خصوصاً وفي البلدان العربية عموماً، لقد أخذ كل إنسان في لبنان يقرأ واقعه بتمعن شديد ويقرأ ما بين السطور فلعلّ تحت هذا الحجر او ذاك يختبئ صهيوني لم يعد بمقدور جهاز الأمن الإسرائيلي ان يبعث رجاله في رحلة تدريب سواء كانت جغرافية أم اجتماعية على الأرض اللبنانية لأننا أصبحنا نعيش المقاومة فإحدى المفردات اليومية التي تترجم الأوضاع القائمة وترشدنا إلى التخلص

من السلبيات التي هدمت حياتنا وبعثرت المجتمع هنا وهناك على موائد الاستلزام وأخذ المواقف التي تمليها مصالحهم الذاتية.

هذه حقيقة لا لبس فيها ولا غموض وقد أثبتت التجربة تلك الحالة القائمة ولم يعد يستطيع أي واحد منا أن يتلطى خلف أصبعه لأن بقية الأصابع في اليد ستشير إليه.

فقرة ثالثة: بزوغ فجر جديد.

ان الفجر الجديد، فجر المقاومة التي اتخذت مسارها في شرايين المجتمع، ولم تعد حالة طارئة عليه، وقد تجذرت في النفوس والعقول كأنبل ظاهرة عرفها التاريخ العربي.

ان هذا الاحساس سينمو وسيشتد مع مرور الأيام في حياة الأفراد والجماعات وفي كل قطر من الأقطار العربية، وما قاله سماحة السيد حسن نصرالله (حفظه الله) أمين المقاومة» أن زمن الهزائم قد ولى «وان زمن الانتصارات قد أتى «بهذه الحالة الوجدانية ينسحب الضوء في الأفق القريب والبعيد بحيث تم اعتماده واجباً دراسياً تتعلمه الأجيال وواجباً عملانياً تقوم به السواعد في بطاح الأرض ما بين سفوحها ومنحدراتها.

ان الخيارات التي تمت صياغتها في البيان الوزاري للحكومة اللبنانية في المثلث الذهبي بعناصره الثلاث الشعب والجيش والمقاومة» يشكل فجراً جديداً في الكيان اللبناني وقوة ردع ومواجهة يحسب لها الف حساب في حال أراد العدو الصهيوني الاعتداء على أرضنا الطاهرة من دماء الشهداء الأبرار.

حبذا لو أن هذه الحالة تأخذ مداها على الأرض العربية وفي كل قطر عربي بهذا المثلث الذهبي بذلك يتعنون المجتمع الرسالي وتصبح قضاياه محل تقدير واحترام من الجميع.

ان هذه الحالة المثلثة الذهبية ستعمم في جميع البلدان العربية سئنا أم أبينا لأن القدرة الالهية لا بد من ان تتحقق ويبزغ فجر الحضارة من جديد.

الخاتمة

لقد عنونت هذا الكتاب بعنوان المقاومة بين الأمس واليوم لكي أقرأ صفحات المجد الماضية واستشرف صفحات العز الآتية فوجدت ان ما بين المرحلتين أربع أصابع وهذا ليس من تشكيك فيما تم تقديمه في الماضي انما من باب قراءة الشيء في موقعه الأساسي وقدراته البسيطة، انما هو في جميع الحالات قد أدى الواجب ولو رمى طلقة في الهواء انما قد رمى ! انما العمل الذي يلفت الذهن ويصوب النظر فيه هو ان حالة الأمة التي أخذت مساراً طويلاً من الجمود والسكون مع العلم بأنها تختزن في تراثها حضارة العالم وفي طاقاتها الابداعية منابر علمية هائلة وخزائن أبحاث قد رمى بها جنكزخان في نهر دجلة واتخذ منها جسراً يعبر عليه للطرف الآخر.ما جرى في حياة هذه الأمة يثير الدهشة والتساؤلات الكبيرة انما يبقى الدليل قائماً على عظمتها وتجددها الدائم، ان بذور المقاومة التي حملت مشاعل الدرب الطويل لم تكن في المستوى الحقيقي بل كانت عبارة عن حالات محصورة المكان والزمان دون أن تأخذ ابعادها ومراميها الفعليين.

وللتقريب في الأذهان وحتى لا أضيع في السياقات التاريخية فإنني اتخذ من عمليتان حصلتا على الأراضي اللبنانية.

الأولى: تسمى عملية فردان والتي قامت بها مجموعة كومونـدس

اسرائيلية بتاريخ ١٠/ ٤/ ١٩٧٣ في شارع فردان واستطاعت اغتيال ثلاثة في المقاومة الفلسطينية وهم:

كمال عدوان عضو اللجنة المركزية لحركة فتح

كمال بطرس ناصر الممثل الرسمي لمنظمة التحرير الفلسطينية.

محمد يوسف النجار رئيس اللجنة السياسية العليا لشؤون الفلسطينيين في لبنان.

كذلك أريد أن أضيف عملية اغتيال خليل الوزير - ابو جهاد في ضاحية سيدي «أبو سعيد» في تونس للعام ١٩٨٨.

واغتيال صلاح خلف «أبو أياد» في تونس للعام ١٩٩١.

العملية الثانية: عملية أنصارية للعام ١٩٩٧ وقد اصطدمت دوريات المقاومة الليلية داخل القرى وخارجها مع الكوماندوس الإسرائيلي بحيث صعق العدو الإسرائيلي بحجم الخسائر التي تكبدها.

في الحالة الأولى لم تكن هناك مقاومة بالمعنى الحقيقي للكلمة مما استطاع الكوماندوس الإسرائيلي الانتقال إلى بيروت شارع فردان وتنفيذ أعماله البربرية وقد أشرت إلى عمليتان حصلتا في تونس بسهولة ودون عوائق ونحن نعلم بأن ذاك البلد العربي فيه قوى أمن جيش ومع ذلك لم تكن رادعة لتلك العمليتان بل تم تنفيذها على أدق وجه.

أما في العملية الثانية «عملية أنصارية» فقد كانت المقاومة بالمرصاد وألحقت بهذا الكوموندس الهزيمة الساحقة والسؤال: لماذا؟.

اما في العملية الأولى لم تكن هناك أعين تقْضى وساهرة على قياداتها التي تشكل المحرك الأساسي لها. بينما في العملية الثانية أثبتت المقاومة وجودها الفعلي وسحقت الكوماندوس الذي تجرأ على الدخول إلى ارض الوطن وتنفيذ مخططاته.

من هنا نكتشف البعد الفعلي للمقاومة وسر ديمومتها وامتشاقها السلاح، لأن من يواجه الأعداء عليه أن يعلم كيف يتصرف في تلك المواجهة وامتدادات الموجهة. علينا أن نحدد خياراتنا بصورة جدية وعميقة وأن نتعلم من ان قادة هذا الكيان الصهيوني وما يتفاعل داخله إلاّ عمليات سحق الأوطان التي من حولها وبكل الوسائل وعلينا أن لا نستسلم للوهن والاستكانة بل علينا البقاء في حالة صراع مع العدو الصهيوني وان تبقى الاستعدادات قائمة وفي أعلى الإمكانيات والقدرات والمستويات لأن اللاعبين الجدد هم حركات الشعوب العربية، وهذا هو الأمل الحقيقي الذي تغذيه الثورات العربية رغم كل تناقضاتها ونقاط ضعفها سواء كان ذلك على الساحة الوطنية أم على الساحة القومية فأميركا التي تحتل الإرادة العربية بالقواعد العسكرية وبالاقتصاد وان أي حاكم عربي يحاول أن يشاغب عليها فإنها تفضح صورته أمامها الإرهابي أو المستخدم للسلاح الكيماوي ضد شعبه وإما كمستبد متورط في جرائم ضد الإنسانية. والحاكم العربي لا يواجه الولايات المتحدة الأميركية إلاّ عندما تهز عرشه وفي هذه الحال فإنه مستعد لإحراق بلاده وتدميرها في لعبة المساومة مع المصالح الأميركية.

من هنا يدرك الغرب كيف يستخدم التناقض بين الحاكم وشعوبها وكيف يجعل من مطالب الحرية والديموقراطية عنصراً لتفجير الاستقرار

والأمن في أي بلد عربي لا ينصاع إلى المطالب الأميركية والأوروبية معاً طالما أن الحياة الوطنية خالية من الإرادات الحرة والرافضة لمبدأ المساومة على الحقوق والكرامة الوطنية وعلى رأس تلك الأولويات الغربية الكيان الإسرائيلي الذي تم غرسه في قلب المنطقة العربية ليبقى الخنجر المسموم في جسدها تحركه ساعة تشاء للحصول على الثروات المالية والباطنية متى تريد وكيف تريد دون تردد أو تلكأ في الاستجابة لها وتنفيذها مهما كانت الظروف والأحوال.

من هنا ندرك البعد الحقيقي للمقاومة على الساحة اللبنانية التي تبقى المنارة والقدوة لبقية الأقطار العربية بحيث نجد انه من الضروري أن يكون خيار المقاومة في كل قطر حتى يكون الشعب ملتصقاً تماماً بقضاياه وبالخصوص القضايا القومية ولكي تصبح المقاومة هي الدورة الدموية في جسد الأمة.

هذه الدورة الدموية تستطيع أن تحمي قدرات الأمة في كل قطر وتستجمع الطاقات والإمكانيات في لحمة حقيقية تعيد لأمة توهجها الدائم ليس في حياة الشعب العربي بل في حياة شعوب العالم قاطبة لأن الدور الريادي الواجب القيام به لم يستكمل فعاليته اللازمة بين ظهرانينا بل ما يزال يتراوح في مكانه وفي صدور أبنائه نزقاً للتراث والقدرات على موائد اللئام ممن يتربصون بنا في السر والعلن دفناً دفناً حتى لا تقوم لنا قائمة.

إن نهج المقاومة هو الطريق السليم الذي يفتح آفاق الإيمان المغيب في دهاليز النفاق ويعطينا المنعة والسؤدد ويؤكد الحضور الرسالي

في حياتنا من باب الأئمة عليهم السلام فتأخذ النفوس والقلوب مداميكها الصحيحة وتلتزم وجدانيات العترة النبوية بأكمل وأنبل حقائقها الفاعلة.

إن العمل المقاوم هو الغرسة الصالحة في التربية الوطنية وبقدر ما نمدها من العناية والسقاية بقدر ما تجود علينا من خيراتها وإفرازاتها التي لا يحدها حد ولا يقف في وجهها أحد لأنها نفعل في النفوس المجتمعية حالة من حالات الربط العضوي في الإرادة العامة التي تستجمع شتات الجسد المترهل لتأخذه الى طريق الصواب والحق والعدل الذين هم ديدن الإنسان في كل زامن ومكان وقد حباه اللّه برسالاته المتتالية على قلوب

أبنائه ورسله حيث أنار فؤاده ببدائع صنعه وجلال خلقه فكانت الحياة وكان الإنسان.

إن المعادلة الفعلية في الحياة العامة هي أن المقاومة بشتى أشكالها وتفرعاتها تمنع شبكات التآمر الصهيو-أميركي من العبث في الداخل الوطني بصورة شاملة أو الأحرى بحالة جزئية وإن لم تتمكن حتى الآن من قمع حالات الجريمة الفردية المنظمة لعدم شموليتها فئات الشعب بصورة كاملة.

وإن الذي يتلمسه العقل العام ويشكل الضمير المحرك الأساسي فيه ذاك التراكم التبذيري للميزانية العامة والمجالس الخاصة الملحقة بها وارتفاع سقف الدين العام وعدم القدرة على توقفه وعدم القدرة على السداد حسب الجدولة المفترضة عموماً سواء كان على المدى

المتوسط أو الطويل طالما أن الأبدي مغلولة في تحريك تقلبات الفائض المالي بل عمليات التناقض المستدامة وأن هناك بريق أمل في معالجة تلك الحالة الشاذة إنما ويا للأسف فإن إقرار القوانين وتنفيذها في التنقيب عن النفط والغاز في المياه البحرية الإقليمية وإن العدو الصهيوني قد وصل إلى درجة الإكتفاء والإستفادة من النفط والغاز علماً أننا في نفس الخط البحري للأبيض المتوسط.

إن حالة الركود الإقتصادي ما زالت تراوح مكانها دون أن تدفع بأصحاب النفوذ والسلطة لتصحيح الخلل والقيام بما يمليه الواجب الوطني وإن المقاومة إذ تراقب هذه الأوضاع الغير مستقرة وغير سليمة في أوضاع البلاد والعتاد فإنها تقرأ في كتاب أبجديات الموازنات وترسم الخطوط الحمر لأي عمل ينال من السيادة الوطنية حتى لا تضع أيدي أصحاب رؤوس الأموال الدائنة على البلد ومقوماته الإقتصادية والمالية وهذه حالة معروفة في أوضاع بلاد أخرى متشابهة معنا بتراكم المديونية والعجز عن السداد وليس عن طريق تدوير الأموال والفوائد كما يعطيهم الحق بوضع اليد على مفاصل الدولة ومقوماتها بقوة القانون الدولي الذي يحمي هذه الأوضاع العامة.

إن المقاومة التي تدفع ضريبة الدم في الدفاع عن حياض الوطن في وجه العدو المتربص وتمنع أي من وسائله الخبيثة والشريرة وشراكه من أن تتسرب إلى الداخل اللبناني، فهل يستقيم الأمر مع أصحاب رؤوس الأموال الدائنة لتدخل إلى صلب الكيان الداخلي وتعمل على قطع الحسابات ورصد المداخيل والمصروفات وهي اليد الآمرة والنافذة طبقاً للحق المعطى لا سترداد أموالها المديونية الضائعة على

طاولة السياسيين الغارقين في أوصال الزبانية والمتدثرين بأثواب السلطة العامة.

إن السمات الحقيقية والفعلية للمقاومة هي في منع تلك الخروقات التي تغرق البلد في أتون الحاجة وتسلبه الإرادة الوطنية لأنها الحصانة التي تلج من خلالها إلى القيم والتطور الوطني.

إن المقاومة التي اتخذت من العقيدة الإسلامية جوهرها ومداميكها الأساسية وهي الرسالة الخاتمة لكل الرسالات التي سبقت من لدن آدم هذه المقاومة وذاك النهج يعطينا الدليل على امكانياتنا الهائلة في تحطيم القيود ورفع الذل وإحتضان بقية الرسالات بعبق فريد من نوعه في الطاقة الإبداعية والإنسانية وإنجاز الدور اللامحدد على الصعيد العالمي.

من هنا تندفع الطاقات الإبداعية والكمالية والجمالية نحو اقتباس المخزونات القيمية في الحضارة والرقي الإنساني.

إننا مطالبون أن نأخذ أقدارنا بأيدينا وتترجم شمائلنا وقيمنا واقعاً فاعلاً على الأرض بعزة وعنفوان وإن الطريق الوحيد في ذلك كله وبالخصوص في العصر الحديث هو الفعل المقاوم والنهج المقاوم الذي يمسح العار عن جبين الوطن والأمة ويعيد إلينا الحياة الحرة الكريمة ونمارس دورنا الريادي في بعث الحياة الكريمة في أوصال المجتمعات العربية.

في العصور القديمة كانت المجتمعات التي نعج بها الحماسة المغرطة ويعتريها الغرور والجنوح الى السلب والنهب واستزاف

خيرات المجتمعات الراكدة والسيطرة عليها ووضع اليد على دفائنها ومخزوناتها دون رادع أو وازع من قوة أو بطش يهدد مشيئتها وتوعها واغترارها الأرعن سوى رجالات الوطن وما في نفوسهم من العزة والإباء وقد تستطيع إيقاف لفترة زمنية معينة جموح تلك الجماعات الهائجة والمتعطشة لسفك الدماء واكتساب المنافع وهذه حالات قد مرت على أرضنا الطيبة ومع شعوبنا المسلوبة الإرادة سواء كان ذلك مع جنكيز خان وهولاكو واندفاعهم نحو الشرق وسقوط بغداد عاصمة الخلافة العباسية حاضرة الدولة العربية الاسلامية ورمي كنزوها وكتاباتها من المجلدات والمصنفات العلمية والروحية في نهر دجلة لمرور خيله عليها ومثاله في دمشق بجعلها مدينة محروقة. هذه الحالات المتردية من التخلف البشري والنزف الذي لا حدود له في الوحشية قد داست خلال الديار العربية وأمعنت بها نهباً وحرقاً وتنكيلاً.

هذه الحالات قد استكملت في العصر الحديث طالما أن الأرض المعدة لمثل هذه الأعمال جاهزة مسبقاً طالما أن

الحالات لم تعد ممكنة من الخارج للانقضاض على تلك المجتمعات المشتتة والمكبلة بألف قيد وقيد.

هذه الحالات تبرز وتنمو كالفطريات في الداخل الوطني طالما أن الرعاية الأجنبية قائمة ترفع من شأن هذا وتحط من شأن ذاك وتقدم الدعم والعون لهذا وتحبك الدسائس وتزهق الأرواح لذاك. طالما أن الأعين التآمرية قائمة ولها السبق وعلو الشأن فلا غروى ان داست

خيولهم الحقول والبيادر وتقطعت الأوصال، ومن على لوائحها المتنظمة والمبوبة تحرك هذا ويشير ذاك دون أن يرف لها جفن سوى تحقيق الأهداف التي رسمت في دهاليز النفاق.

فهل يجوز أن تبقى الأوطان الواهية والتي يعشعش فيها الفساد تعيش في الذل والهوان وتعيث في مقدراتها ومعالمها الإنسانية الأبدي الصهيو-أمريكية.

لا بد لهذه الأمة التي استطاعت أن ترد كيد المعتدي وتستحق هذه الموجات الشرسة وتعيد الفتح الجديد كما تم الفتح عن طريق الأندلس مفاتيح الحضارة والرقي الإنساني التي لا يزال العالم يعيش بفيضها الإبداعي والجمالي والإنساني.

هل يجوز لهذه الأمة أن تستكين وتتجمد في بؤرة من الخداع والمكر والإذلال وتعطل مفاتيح الإنسانية والروحية على الكوكب الأرضي.

إن الطريق لخلع العجز والتدهور والذل عن كاهلها إلا بمداد من اللّه ورسالاته السمحاء التي فرضت الجهاد الذي هو باب من أبواب الجنة وإن طريق المقاومة النفسية والمجتمعية والحياتية هي السبيل الوحيد لمعالم الجهاد ودوره في حياة المجتمعات وأن أي مجتمع لا تتفاعل في حناياه النهج المقاوم سيبقى مشرع الأبواب أمام غزوات الإلحاد وبراثن الجهل ومكائد الأعداء والماكرين.

من هنا تقرأ المقاومة سيرة وجهاد ومنارة نتطلع اليها في خوض البحار الى الشواطئ الآمنة، لا لتأخذ شعوبنا نحو الفتح الإلهي فحسب بل لنضع العالم أمام عتبة الخلاص الأبدي؟

إن الصراع بين الحق والباطل وبين الجهاد والتجهيل والمعرفة الحركية وبين الفضيلة المتحركة والرذيلة المتغلغلة في بنية المجتمع هي حلقات متتالية في صراعات الشعوب. فإذا كانت أدوارها التاريخية على نسق من الهمجية والرعونة والاستئثار والإلحاق نابعة من تعطش البعض الى حالة التبعية للبعض الآخر في الأزمان السالفة فإن العصر الحديث يختزن

الكثير الكثير من الأساليب والدهاء ما يجعل بعض الشعوب تعيش تحت رحمة وهيمنة الشركات الكبرى والمتعددة الجنسيات مما يجعلها تستأثر بمجمل خيراتها وإمكانياتها وتغطي الأفق العام والخاص في حياتها وتجعلها نهباً ومداساً لما تملي عليها من الإرادات الضاغطة على مفاصل الحياة. هذه الحالة البارزة من اللإستيلاء والسيطرة هي من نتائج الإستعمار الحديث. فكيف يتم مواجهتها والذود عن حياض الأمة فإذا الترجمة الحقيقية لمثل هذه الأوضاع المتردية هي بالرد الحتمي من خلال عقيدتنا الإسلامية الأصيلة والمواقف الجهادية مهما تكن التضحيات. إن أبواب المواجهة مفتحة على مصراعيها في المقاومة وفي نهج المقاومة الشاملة بحيث تشابك الأيدي المخلصة لترفع عن كاهل الأمة الأوبئة الوافدة من كل صقع، لأن الصهيونية التي وضعت اليد على القطر الفلسطيني وشردت شيعها على ساحة العالم العربي والإسلامي والعالمي بأعمال بربرية وخداع محكم الحلقات ومتعدد الأيدي والوسائل الإجرامية فإن الرد الحتمي هو في نهج المقاومة الجهادية التي تلبي نداءات الشعوب المقهورة وترفع العسف والإذلال عن مقدراتها لكي تمسك زمام أمورها بأيدي أبنائها المخلصين.

هذه الحالة قد أكدتها الرسالات السماوية جميعها والتجارب التاريخية الطويلة وقد التزمت بها المواثيق الدولية والإقليمية وفي الركائز للمقومات الوطنية والقومية والإنمائية.

وإنه لمن العار أن تنحدر أمتنا إلى هذا المستوى من الإستكانة والترهل وكأنها مقادير في حياتها العامة والخاصة. إن الإسلام الذي خطه الأمويون والعباسيون والعثمانيون هو أقرب الى العبادات الوثينية التي قضى الإسلام عليها في بطون الجاهلية.

هذه الحالة المرضية التي قدمت الدنيا على الدين وقد جعلت من الدين في خدمة رغباتها وأطماعها وحتى يستقيم الحال وينبلج الصبح المضيء في عتمة الديجور فإن المقاومة التي فتحت تاريخاً جديداً في حياة الأوطان في جبل عامل الجنوب اللبناني تبقى الرمز والمنارة لمن يريد شرف الحياة وقد وضع الاسس الأولى الأئمة الأطهار عليهم السلام من آل البيت فكانوا مصابيح الدجى ومنارة الإسلام في كل زمان ومكان.

فالمقاومة ليست مقاومة على الأرض مع الأعداء فحسب إن كان ذلك قطب الرحى فيها، إنما هي فوق كل شيء عقيدة صلبة وإيمان يقين قوامها الحق والعدل والسلام. فهل نحن حقاً نأخذ بهذا النهج وتلك القيم أم أننا نتخبط في مفاهيمها وأركانها

وتعاليمها كما يتخبط الغريق الذي لا يحسن السباحة وخصوصاً في بحر تتلاطم أمواجه العاتية أم أننا وضعنا الرسالة أمام أعيننا وفي قلوبنا ونتخطى الصعاب وتشرب نفس الكأس الذي شربه الآباء والأجداد على سنة الأئمة الأطهار لنكون المثال والأمثولة في الصبر والظفر على

الأعداء سواء من الداخل أم من الخارج.

تلك ميزة تمتلكها المقاومة بكل فخر واعتزاز وفي صلب الجهاد الذي يسير عليه على خطى الأنبياء والصالحين والأئمة الميامين لما يعطينا المدد والعون والسؤدد والمجد.

المراجع والمصادر

القرآن الكريم.

١- البيانات والفتاوى المؤيدة للمقاومة الاسلامية في لبنان - عبدالله الحاج حسن - دار الولاء بيروت.

٢- ثلاثة وثلاثون يوماً أحدثت بركاناً في إسرائيل - هشام آل قطيط - مؤسسة البلاغ.

٣- تاريخ لبنان المقاوم في مئة يوم - الشيخ هشام آل قطيط - مؤسسة البلاغ ١١ الفكر العربي - العدد ٥٩ سنة ١٩٩٠ - الانماء العربي للعلوم الانسانية.

٤- الارهاب الصهيوني - د. مصطفى يوسف اللداوي - مركز دراسات الوقف الاسلامية - ١٢ المناضل - المجلة الداخلية لحزب البعث العربي الاشتراكي - العددان ٢٣٢ و٢٣٣ لعام ١٩٨٩.

٥- تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمة - الدكتور عبد الحليم منتصر - دار المعارف.

٦- دبلوماسية الدول العظمى - عدنان محمد هياجنه - مركز الدراسات في الامارات.

٧- التنظيم الدولي - الدكتور محمد المجذوب - منشورات الحلبي

الحقوقية – ١٣ المساعد في العلاقات الاقتصادية الدولية.

٨- خيارات الأمة وضرورات الأنظمة – الشيخ محمد مهدي شمس الدين / فرح موسى – دار الهادي.

٩- رسالة زعيم الأمة الاسلامية – الامام الخميني إلى الرئيس السوفياتي ميخائيل غورباتشوف.

١٠ – دور الشيعة في بناء الحضارة الاسلامية – جعفر السماني – ١٤ ١٠٠ عام من الصراع ١٩٠٠- ١٩٩٩ – احداث تواريخ – مصلح الهباهبة – مريم مروة.

١٥- حركة القوميين العرب – باسل الكبيسي – دار العودة – بيروت.

١٦- القومية والديمقراطية والعولمة عند سعاده –د. حيدر حاج اسماعيل – دار الفكر للأبحاث والنشر.

١٧- دراسات عالمية – اعداد إبرل تيلفورد –مركز الأبحاث للدراسات.

١٨- حرب الخليج – انطون مقدسي – دار رياض الريس – لندن.

١٩ – الاسلام جهاد وبناء – المهندس مهدي بازركان – دار التعارف للمطبوعات – بيروت.

٢٠- دور الدعاء والقانون في تحديد القاعدة السلوكية (دار المحجة البيضاء).

الفهرس

تقديم: ٥

المقدمة ٧

تمهيد ٢١

وجهة البحث ٢٥

الفصل الأول:

عناوين المقاومة ٣١

فقرة أولى: أبعادها التاريخية ٣٣

فقرة ثانية: أبعادها الوطنية والقومية ٣٥

فقرة ثالثة: أبعادها الرسالية ٣٨

الفصل الثاني:

المقاومة على الأرض اللبنانية ٤١

فقرة اولى: الكيان الصهيوني ٤٣

فقرة ثانية: الفلسطينيون بين حدي التهجير والقتل ٤٦

فقرة ثالثة: الكيانات العربية القائمة ٤٨

فقرة رابعة:انفراد الكيان اللبناني بخط المقاومة الشعبية والاسلامية ... ٥٠

الفصل الثالث:

المقاومة على الأرض العربية ٥٣

فقرة اولى: الانتفاضات في البلدان العربية ٥٤

فقرة ثانية: الأحزاب الوطنية في البلدان العربية ٥٧

فقرة ثالثة: الأحزاب القومية والرسالية في البلدان العربية ٦١

فقرة رابعة: انصهار الأمة في بوتقة النضال ٦٥

الفصل الرابع:

السؤال الأساسي: هل المقاومة حالة آنية أم دائمة؟ ٧١

فقرة اولى: المقاومة ضرورة وطنية ٧٣

فقرة ثانية: المقاومة ضرورة قومية ٧٤

فقرة ثالثة: المقاومة ضرورة رسالية ٧٦

الفصل الخامس:

الدبلوماسية الدولية في ظل النظام الدولي الجديد ٧٩

فقرة أولى: الاتجاهات العملية الواسعة ودور العلماء العرب ... ٨١

فقرة ثانية: الاتجاهات الاقتصادية وانعكاساتها على الاقتصاد العربي .. ٨٤

فقرة ثالثة: الاتجاهات السياسية الدولية ٨٦

الفصل السادس:

الصراع في الوطن العربي ٩٣

فقرة اولى: الصراع في الأقطار المواجهة للعدو الصهيوني ٩٥

فقرة ثانية: الصراع في بقية الأقطار العربية ٩٦

فقرة ثالثة: الأهداف والغايات ٩٧

الفصل السابع:

حتمية وديمومة المقاومة ١٠١

فقرة اولى: إحياء التراث الوجداني والجهادي ١٠٣

فقرة ثانية: القاعدة العامة، كل مواطن مسؤول وغفير ومقاوم .. ١٠٥

فقرة ثالثة: بزوغ فجر جديد ١٠٦

الخاتمة ١٠٩

المراجع والمصادر ١٢١